عدنية شبلي

لا مساس أيْ لا تمسّني. ولا مساس أيْ لا مُماسة، وقد قُرئ بهما. ورُوي عن الفرّاء: إنّه لحسن المس. وفي التنْزيل العزيز: ﴿ إنّ لك في الحياة أنْ تقول لا مساس ﴾: قُرئ لا مساس، بفتْح السّين منْصوبا على التبْرئة، قال: ويجوز لا مساس، مبْني على الكسْر، وهي نفْي قوْلك مساس فهو نفْي ذلك، وبُنيت مساس على الكسْر وأصْلها الفتْح، لمكان الألف فاخْتير الكسْر لالْتقاء السّاكنيْن. الجوْهري: أمّا قوْل العرب لا مساس مثْل قطام فإنّما بني على الكسْر لأنّه معْدول عن المصْدر وهو المسّ، وقوْله لا مساس لا تُخالطْ أحداً، حرّم مُخالطة السّامري عُقوبة له، ومعْناه أيْ لا أمس ولا أمس.

مكتبة

مؤسسة عبد المحسن القطان A.M. Qattan Foundation

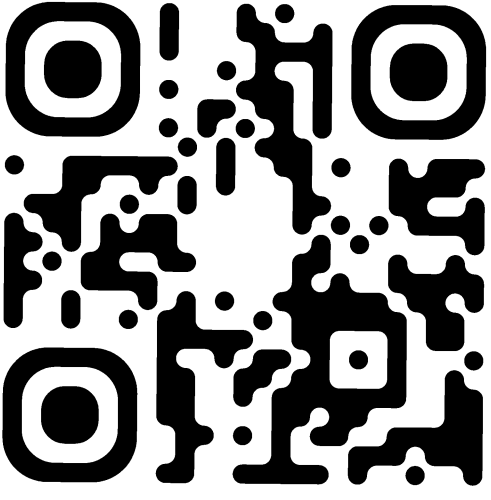

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

مَسَاس

مكتبة
t.me/soramnqraa

مَسَاس

عدنيّة شبلي

الطبعة الأولى عام 2003

حقوق الطبع محفوظة

دار الآداب للنشر والتوزيع
ساقية الجنزير ـ بناية بيهم
ص.ب. 4123-11
بيروت ـ لبنان
هاتف: 861633 (01) - 861632(03)
فاكس: 009611861633
e-mail: d_aladab@cyberia.net.lb

مؤسّسة عبد المحسن القطّان A.M. Qattan Foundation
5 Princes Gate
London SW7 1QJ - UK
Tel: + 44 207 581 8774
Fax: + 44 207 581 0741
e-mail: omar@uk.qattanfoundation.org
http://www.qattanfoundation.org

عدنيّة شبلي

مكتبة
t.me/soramnqraa

مَسَاس

A.M. Qattan Foundatior مؤسّسة عبد المحسن القطّان

من وثيقة برنامج الثقافة والعلوم (٢٠٠١)
مؤسّسة عبد المحسن القطّان

مؤسّسة عبد المحسن القطّان هي مؤسسة خيريّة تنمويّة تأسستْ عام ١٩٩٤ ، وسُجِّلتْ في بريطانيا . تهدف المؤسّسة إلى دفع عمليّة التنمية التربويّة والثقافيّة والوعي الفكريّ للشعب العربيّ بصورة عامّة ، والشعب الفلسطينيّ بصورة خاصّة والحفاظ على هويّته الثقافيّة . في عام ١٩٩٨ ، تمّ تسجيلُ فرع للمؤسّسة في فلسطين ، وبادرت المؤسّسة في مشروعين كبيرين هما مركز القطّان للطفل في مدينة غزّة ، ومركز البحث والتطوير التربويّ في رام اللّه . وبالإضافة إلى مشروعات المؤسّسة الذاتيّة ، وبهدف تحفيز ورعاية المبدعين ، وَضعت المؤسسة برنامجًا خاصّاً بالثقافة والعلوم . انطلق برنامج الثقافة والعلوم في العام ٢٠٠٠ ، وقد لاقى احتفاءً كبيراً في الأوساط الثقافيّة ، واستجابةً لافتة من قبل المعنيّين ، وقد شمل برنامج العام الماضي منحًا في مجالات الموسيقى والمسرح والفنون الاستعراضيّة ، ووسائط الاتّصال الغرافيّة والمتفاعلة ، وجوائز في مجالَي الأدب والفنون التشكيليّة . وقد بلغ عدد المنح والجوائز التي قدّمتها المؤسّسة ١٥ منحةً وجائزةً بقيمة ٧٠٥٠٠ دولار . واقتصرت

معظم المنح والجوائز للعام ٢٠٠٠ على المواطنين الفلسطينيّين القاطنين في فلسطين، وذلك لأسباب عمليّة وماليّة، إلا أنّ المؤسّسة تأمل في توسيع دائرة المستفيدين لتشمل فلسطينيّي المهجر والشتات، ثمّ المواطنين العرب بشكل عامّ، في السنين القادمة وعند توفّر الظروف اللازمة لذلك...

مؤسّسة عبد المحسن القطّان

بيان لجنة تحكيم مسابقة الكاتب الشابّ للعام ٢٠٠١ برنامجِ الثقافة والعلوم في مؤسّسة عبد المحسن القطّان

تلقّت لجنة تحكيم مسابقة الكاتب الشابّ للعام ٢٠٠١، التي تنظّمها مؤسّسةُ عبد المحسن القطّان ضمن برنامجها للثقافة والعلوم، والتي ضمّت في عضويّتها كلاً من صبحي حديدي ومحمد برادة وإلياس خوري وعبّاس بيضون ومحمود شقير، ثلاثًا وعشرين مشاركة توزّعت على الشعر والرواية والقصّة القصيرة، واستهدفتِ الكتّابَ الشبابَ الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٣ ـ ٣٠ عامًا، من مختلف أنحاء فلسطين.

وقد أشادت اللجنةُ بمستوى المشاركة التي استطاعت أن تنجو من الوقوع في إغواء تمجيد الحدث الراهن، وتقديس الشعار السياسيّ، وتفضيل الحكاية النضاليّة، لصالح الجوانب الإنسانيّة في شخصيّة الفلسطينيّ، لا الجانب الملحميّ ـ الكفاحيّ وحده، واستطاعت أن تبرهن أنّ الظروف القاسية التي يعيشها الفلسطينيّ في شروط الاحتلال والمقاومة لا تلغي هويّته الإنسانيّة، بل تشدّدها أكثر. وحرصت النصوصُ المشاركة على العمق، وخصائص التعبير الجماليّ، واستيحاءِ مختلف مكوّنات الحياة الفلسطينيّة، كاشفةً وعيًا بخصوصيّة الأدب، وبأنّه ليس استنساخًا للخطاب السياسيّ الشعاراتيّ. وبعد تقييم الأعمال المشاركة أوصت لجنة التحكيم بمنح الجوائز

كالتالي: جائزة الرواية لعدنيّة شبلي عن روايتها مساس؛ جائزة الشعر لخالد عبد اللّه عن مجموعته F.M؛ جائزة القصّة القصيرة لماجد عاطف عن مجموعته الطفو ولمنير زعرور عن مجموعته عطش الأولياء.

جائزة الرواية:

منحت جائزة الرواية إلى عدنيّة شبلي عن روايتها مساس، وذلك بسبب أنّها:

- أكثر الأعمال المتسابقة حرصًا على كتابة رواية بالمعنى الفنّيّ للمصطلح.
- بناء معمار روائيّ متصاعد في الشكل كما في المحتوى، والتجديد في الموضوع والأسلوب، وقدرتها على صوغ عوالم جديدة وغريبة وأليفة في الآن نفسه.
- رسم شخصيّات روائيّة إنسانيّة القسمات، بعيدة استطرادًا عن الشخصيّة النمطية التي لا تمثّل البشر بقدر ما تنوب عن مفهوم أو مزاج أو رمز.
- تطوير حبكات مركزيّة وثانويّة لا تبيح تحليل الشخصيّات في المستويات النفسيّة الداخليّة وسبر أغوار الحالة الإنسانيّة من جوانبها المختلفة فحسب، بل أيضًا في مستوى الشبكات الاجتماعيّة الخارجيّة، وتقديم صورة المكان.
- اختيار شكل معقّد وذكيّ يعتمد تقسيم العمل إلى فصول أساسيّة، تنقسم بدورها إلى مشاهد وشذرات تنفصل وتندمج وفق تراصف ذكيّ مفتوح، بشكل يؤكّد قدرة الأدب على التجدّد الدائم.
- اعتماد لغة رشيقة، سريعة الإيقاع، قصيرة الجمل، ذات مراوغة عالية في تصوير الموقف وتنويع الشحنة الوجدانيّة، فضلاً عن البراعة الخاصة في المزج بين الفصحى الشعريّة والفصحى المبسّطة في لغة تقف عند حدود الشعر دون الغرق في الإنشاء الشعريّ، بشكل ينمّ عن نضج ثقافيّ وأسلوبيّ.

ألوان

مكتبة
t.me/soramnqraa

-١-

يقف الخزّان الكبير على أربعة أعمدة، فيبدو من بعيد كنملة لا تتحرّك أبداً.

مرّة كان له لون آخر، دام إلى أن جاءت نقطة صدإٍ صغيرة كبرت وكبرت حتّى نالت منه وصار كلّه بنّيًّا.

خلف أحد أعمدة هذا الخزّان وقفت فتاة صغيرة. غير أنّ اللون البنّيّ عليها لم يكن بسبب نقطة الصدإ، بل بسبب الخياطة التي لم تستنفد كلّيًّا قطعة القماش الصوفيّة الثقيلة والبنّيّة، التي تراودها من وقت إلى آخر خطوط مذهّبة، في صنع ثوب للأمّ. بقيت قطعة صغيرة لا تكفي إلاّ لصنع ثوب صغير.

ثبتت عينا الفتاة الصغيرة على العامود أمامهما. كان الصدأ يتعلّق عليه بمربّعات وقطع صغيرة جدًّا، جعلته يبدو خشنًا. مدّت يدها إليه ثمّ شدّتها فوقه، عندها سمعت صوتًا

ناعمًا لتحطُّم قطع الصدإ الباردة. أفلتت العامود فسقطت بعض الشظايا وبقيت أخرى معلّقة على يدها.

لا تزال الشظايا باردة فوق اليد، فحملتها خارج ظلّ الخزّان لتدفئها قليلاً. وخارج الظلّ، ظهرت زيادة على شظايا الصدإ البنّيّة، نقاط متناثرة على مساحة كلّ اليد تتلألأ.

ذَهَبٌ.

أمام الشمس، صارت النقاط البنّيّة والذهبيّة تصنع كفًّا ناعمًا وشفّافًا يتناسب والثوب الصغير.

اليد الثانية لم تمسك بشيء وبقيت مغلقة بإحكام كما تُرِكَت. فتحتها، وكانت مليئة برطوبة العرق. عندما أخرجتها إلى الشمس تلألأت هي الأخرى بنقاط وبخطوط من الذهب. عادت وسحبتها على أحد عواميد الخزّان لتضيف إليها قليلاً من البنّيّ ولتزيد تلألؤها، لكنّ خشونة الصدإ التصقت بدل ذهبه، خشونة تشبه خشونة ثوبها الصوفيّ.

وقفت الفتاة الصغيرة تحت الخزّان في طريقها للتبوّل خلفه. الصمت لا يزال يسود كلّ شيء. هي لن تمسك بالثوب لرفعه للتبوّل، فيد واحدة عليها الكفّ ويد ثانية خشنة وتؤلم، فبدأ البول مساره الثنائيّ بين ساقيها لوحده. وبقيت هناك واقفة تحت الشمس تلاعب اللون البنّيّ والذهبيّ على ثوبها وعلى يدها، ريثما يجفّ البول من على ساقيها.

ـ ٢ ـ

جلست الفتاة الصغيرة فوق ربطات القشّ المحمّلة في القسم المكشوف من السيّارة، وداخلها الأب يقودها فوق الجبل.

من قمّة الجبل، يخرج قوس قزح مارًّا في السماء ليصل إلى السهول، ثمّ يختفي.

أحيانًا تختفي بعض الألوان من الطبيعة، فيبقى فقط أخضر على الجبل، أصفر على القشّ وأزرق على السماء في الصيف. قبل نهاية الربيع الأوّل انتهى قلما اللون الأخضر والأحمر لكثرة البرقوق، أمّا قلم الزهريّ فيبدو أنّه سيكفي لعديد من الشتاءات.

عندما وصلا إلى القمّة، ذهب منظر حدّتها كما بدا من أسفل. كانت القمّة منبسطة ككلّ الحقول، وعليها بناية

وحيدة. نزل الأب من السيارة، ثمّ اختفى سريعًا بين التماثيل والأشجار خلف سور المبنى.

بقيت الفتاة تجلس فوق القشّ تنتظره.

أكثر أقلام الألوان عمرًا سيكون البنفسجيّ. زهرة بنفسج واحدة كانت ثمّ اختفت، وكان قوس قزح واختفى.

بعد أن لم تعد القمّة تنتهي في نقطة واضحة، راحت الفتاة تبحث عن المكان الذي اختار قوس قزح الخروج منه.

ألوان عديدة كانت تنتشر في كلّ مكان، وعلى نوافذ البناية. مربّعات الألوان الصغيرة على أحدها كوّنت من بعيد صورة رجل فوق حصان يقتل أفعى، وعند الاقتراب منها ظهرت صورة ذئب معلّق على الحائط وتحته الأب يجلس قرب امرأة.

ابتعدت الفتاة بين الأشجار، مكملة بحثها عن آثار القوس. تحت الأشجار تجمّعت فقط أوراق يابسة خفيفة، تَحَطُّمها تحت الأقدام كان الصوت الوحيد فوق الجبل، إلى أن جاءت ريح تحرّك أوراقًا أخرى وتزيد اقتراب الشمس من نهاية السماء.

من حول، تشابهت الأشجار والطرقات، فسارت الفتاة الصغيرة بطريق حركة الشمس، لاحقة إيّاها كي لا تظلم

وتختفي كلّ الألوان. ثمّ بدأت تركض وتركض وأسْرَعْ حتّى وصلت حافة الجبل.

وهناك، من عند الحافة، امتدت السماء فالحقول البعيدة، وخلفها الشمس تختفي جارّة وراءها لونًا بنفسجيًّا طويلاً، كآخر ألوان النهار.

-٣-

t.me/soramnqraa

وفّق الجميع بتركيب أزياء سوداء لارتدائها، عدا الفتاة الصغيرة. كان البحث عن زيّ أسود لها، ثمّ محاولة ارتجال واحد، قد أوشك العائلة على نسيان حزنها على الميت، فتقرّر الإعهاد بالمهمّة نفسها، إليها.

الباب الخشبيّ للخزانة دائمًا نصف مفتوح، لأنّ أحدًا لم يصلحه أو يكترث بتصليحه.

سحبت الفتاة كلّ ما احتوت الخزانة إلى المساحة الصغيرة المتبقّية بينها من جهة وبين الأسرّة من الجهة الأخرى. وقد بقيت كومة الملابس متعدّدة الألوان، رغم ما قالته معلّمة الرسم الغاضبة دائمًا، بأنّه إن اختلطت كلّ الألوان معًا سيتكوّن اللون الأبيض.

فاز ببطولة الأسود تقريبًا، بنطال مخمل كحليّ وقميص صوفيّ تختلط فيه زيادة على الكحليّ ألوان صغيرة أخرى. بعدما ارتدتهما وجدت ثقبًا في البنطال عند الركبة اليسرى.

في الطريق إلى الجامع، اشترت زجاجة كولا مزيّنة بشريط أحمر، لكنّ لون السائل فيها كان أسود، أو أقرب للأسود من أيّ لون آخر حولها. ثمّ أكملت طريقها حاملة في اليد اليمنى الزجاجة واليد اليسرى تخبِّئ الثقب في البنطال.

كانت آخر القادمين إلى ساحة الجامع. عندما وصلت، جاء خبر أنّه أغمي على الأمّ وقد وضعوها في سيّارة الإسعاف الواقفة في الخلف، فاتّجهت إلى هناك.

كان الباب الخلفيّ لسيّارة الإسعاف مفتوحًا ولكنّها لم تستطع الوصول إليه، إذ إنّ عددًا كبيرًا من النساء بالأسود كوّنّ سورًا عظيمًا بينها وبينه، فلم تقدر حتّى على رؤية طرف من حذاء الأمّ؛ بينما لا يزال حشد النساء بالأسود يتزايد، فيزداد دفعها بلباسها الكحليّ إلى الوراء دون أن تستطيع مقاومتهنّ، فاليد اليمنى تحمل الزجاجة واليسرى تغطّي الثقب. عليها ألاّ تزيح يدها عنه أبدًا وإلاّ رآه الجميع.

وتزداد قوّة الدفع وقسوته وتوشك في كلّ مرّة على إزاحة اليد عن الثقب، فتشدّها أكثر وأكثر آخذة كلّ القوّة فيها، ومن

اليد اليمنى التي وهنت ولم تعد تمسك بالزجاجة جيّداً فصارت تفقد سائلها الأسود تقريباً مع كلّ خطوة إلى الخلف.

يجب أن لا يرين الثقب.

في نهاية الساحة وقف سور الجامع خلف الفتاة الصغيرة يمنع دفعها أكثر، فبقيت في مكانها تنظر باتّجاه سيّارة الإسعاف التي لم يعد يبدو منها أيّ لون أبيض، بعد أن غطّاها ستار النساء الأسود. لكنّ فوقه، فوق السيارة، بقي الضوء الأحمر يلتفّ داخل نفسه دون أن يحجبه أيّ شيء، متغيّراً من الأحمر الداكن إلى الأحمر الفاهي بانتظام، وكانت هي تنتظر عودته المنتظمة إلى الداكن، فيشابه في كلّ مرّة الورقة الحمراء التي غطّت زجاجة الكولا الفارغة في يدها.

ـ ٤ ـ

عندما يبدو لمعانٌ ما من بعيد، تكون هاتان عيني الجار، وبين الحقول تكونان خضراوين.

استلقت الفتاة الصغيرة على العشب الأخضر، واقترب الجار منها إلى أن أصبح فوقها. من خلفه السماء تحيطه، وحدود عينيه تحيطان بلونهما الأزرق.

اقترب حتّى ضاعت ملامحه، لكنّ أنفيهما منعا الاقتراب أكثر، فالتفّ الجسمان كجسم واحد.

يستلقي الجار على كتل التراب القاسية. في الشتاء، كان التراب القاسي وحلاً ينسجم مع جسميهما. عيناه صارتا بنِّيَّتين.

وضع يده على رقبتها ويدها كانت على التراب، فرفعتها إلى عينيه. راحت يده تمشي فوق رقبتها ويدها تروح وتجيء على

عينيه، تصير أصابعه تشدّ رقبتها وتصير أصابعها تشدّ عينيه فآلمته. ابتعد ولم يعد يريد أن يلعب «بحلا» معها.

عادا إلى البيت معًا، وخلفهما غبار الطريق الرماديّ يعلو إلى الطبيعة، دون أن تصبح عينا الجار رماديّتين. عادتا تلمعان.

صعدت الفتاة الصغيرة إلى درب فرعيّة تزداد بعداً عن طريق الجار حتّى اختفى.

وبينما هي لا تزال تمشي، بدا لمعان من جديد من بعيد من تحت شجرة مغبّرة، فاقتربت منه.

في الظلال، كانت تستلقي أفعى يحيطها غبار رماديّ من كلّ جانب، ولا تزال تلمع.

ـ ٥ ـ

تثني الأمّ كمَّي الثوب حتّى المرفق فتظهر الأساور الذهبيّة، فتخلع الفتاة الصغيرة ملابسها وتجلس على أرضيّة الحمّام الواسع ضامَّة جسمها بذراعيها، تراقب الأساور الباردة.

ثلاث مرّات للشعر. ثلاث مرّات للجسم.

كانت الأمّ تحمِّمها حتّى مجيئ الحلم. في ساحة الجيران تستلقي الأمّ على جانبها الأيمن وثوبها مرفوع حتّى أعلى ساقيها البيضاوين. عند قدميها الجار الكبير وخلفه زوجته، في يده سكّين يطعن به ساق الأمّ اليسرى في كلّ مكان دون أن يسيل أيّ دم، فقط يتحوّل مكان الطعن إلى أزرق. الأمّ تضحك والجار الكبير يضحك وزوجته، وساق الأمّ مليئة بالبقع والخطوط الزرق.

لم تعد تسبق الفتاة الأمّ إلى الحمّام ولم تعد تستحمّ، إلى أن جاءت الأخت الثامنة وأخذتها.

وضعت الأمّ القدر ثمّ خرجت تاركةً إيّاهما معًا.

خلعتا ملابسهما واقتربتا من القدر الساخن. تناولت الأخت الثامنة الوعاء البلاستيكيّ، ملأته من القدر وسكبت المياه على شعرها ثمّ ملأته وسكبت ما فيه على جسمها. عادت وملأته مبقية إيّاه في يد واحدة واليد الثانية أمسكت بقطعة الصابون ومرَّرتْها على شعرها. من حين إلى آخر كانت تسكب من الوعاء فوق رأسها على شعرها، فتختفي الرغوة البيضاء عنه، لكن ليس تمامًا. بعضها يبقى وأخرى تسيل على طول الظهر، وإن لم تختف، تستمرّ في طريقها فوق المياه على طول أرضيّة الحمّام، منتقلة من مربّع إلى آخر مرّات بسهولة ومرّات بصعوبة حسبما تسكب الأخت الثامنة، ولا يزال الوعاء في يدها اليمنى. لونه في الأساس كان أزرق، لكنّه صار قليلاً أبيض بسبب الخدوش فوقه لشدّة ما وقع على الأرض، والآن أكثر بسبب الصابون الذي تعلّق عليه.

نقاط البرد وصلت إلى كلّ مكان في جسم الفتاة وهي لا تزال تنتظر دورها في لمس الوعاء. مدّت يدها إليه في يد الأخت الثامنة، لكنّ الأخيرة سحبته بعيداً عنها، فوثبت عليه، وبدل أن

تمسك به اصطدمت بالقدر فوقع وسالت كلّ مياهه، فدفعتها الأخت الثامنة على الأرض فوق المياه التي اختلطت مع الصابون والوسخ والبرد.

ثمّ تشاجرتا بصمت.

تحمّمت الفتاة الصغيرة بمياه الحنفيّة الباردة، مرّة للشعر ومرّة للجسم بدون صابون في المرّتين، وقد سكّنت آلام برودة المياه آلام الضربات.

في اليوم التالي تحوّل مكان الضربات جميعها إلى بقع وخطوط زرق على الذراعين وعلى الصدر وكثيراً على الساقين.

ـ ٦ ـ

تقشّر طلاء البيت كان في أوجه، غير أنّ أحداً لم يلحظه، بسبب الاعتياد على تغيّر الألوان التدريجيّ. لكن عند النظر من أمام باب البيت إلى الشرفة، يتّضح تقشّر الطلاء عليها وعدم تقشّره في الطبيعة المحاطة بأعمدتها.

كان التقشّر كيدٍ محروقة انتفخت فالتهبت. اقتربت الفتاة الصغيرة إلى أحد الأعمدة ومرّرت أظافرها على أكثر جزء ملتهب. قشرة طلاء صغيرة تعلّقت بين الإظفر والإصبع، لكنّ حدّة تعبير الوجه والعينين المغلقتين كانت بسبب الشمس التي اصطدمت بها خلال رفع رأسها لإزالة القشرة، ونسيتها عندما رأت بعينيها المغمضتين اللون البرتقاليّ يغطّي كلّ شيء. عندما فتحتهما صار العالم كما كان، فعادت تغلقهما بسرعة وبسرعة تحوّل العالم إلى برتقاليّ.

الشمس قريبة جدًّا وشعرت الفتاة بحرارة هذا الاقتراب على رأسها ثمّ على جسمها. استدارت إلى الخلف حيث الباب، وقربه الأم تقف عند ماكينة الغسيل. أيّام الحرّ تجمع الأمّ كلّ الملابس لغسلها فتصير حولها كومات مختلفة الألوان. عادت تغلق عينيها لترى اللون البرتقاليّ لوحده على العالم، لكنّ ماكينة الغسيل بدأت بترديد لحنها الرتيب. صوتها هو الذي أمسك بالعالم الآن، فتركت الشرفة مختفية في سيّارة الأب.

عندما أغلقت عينيها داخل السيارة، لم يعد يحضر البرتقاليّ.

مرّ أكثر من نصف نهار وعادت الظلال تطول والملابس المغسولة أوشكت أن تجفّ والفتاة الصغيرة لا تزال تراقب الساحة الخالية عبر المرآة الصغيرة المعلّقة في وسط السيّارة، مغلقة عينيها من حين إلى آخر، عسى أن يكون اللون البرتقاليّ قد عاد.

أثناء ذلك الهدوء الحارّ، دخلت المرآة سيّارة أخذت تدور في الساحة حتّى توقّفت في الظلّ.

فُتِحَت الأبواب وأقفلت خلف أربعة أشخاص. أصغرهم كان يلبس قميصًا لونه برتقاليّ.

ـ ٧ ـ

ذهاب الشمس أذن للعتمة بالامتداد مع لونها الأسود إلى كلّ ما وقعت عليه عينا الفتاة.

لقد ابتلع الأسود كلّ الألوان. أشعلت المصباح في الغرفة، فقفز طلاؤها الأبيض إليها بينما وقف هو على النافذة بلامبالاة، يملأ الفراغات بين قضبانها.

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ».

أعادت القرآن الصغير بأوراقه الخفيفة كأوراق الحلوى، إلى تحت فرشتها، وأطفأت الضوء، فإذا هم مظلمون.

قبل أن يسخّر الشمس، لم يكن إلاّ لون أسود يغمر الكون. الأسود كان قبل البداية. قبل أن تولد. وبعد أن تموت سيعود إلى مكانه، مكانها الفارغ.

لقد كان الله خلفه، يبسطه ثمّ يلمّه كيفما يشاء.

ـ ٨ ـ

عندما فتحت النافذة في الغرفة المعتمة، وجدت الفتاة أنّ النهار كان لا يزال قائمًا، فيما يبدو كل ما في إطارها شاحبًا كأنّ الألوان في غيبوبة. أزالت عينيها عن النافذة وخرجت للسير.

كانت تمشي برأس مطأطئ فوق أحاديّة لون الشوارع العديدة. الشارع، عدا قليل من القمامة الملوّنة هنا وهناك، عالم صُوِّر بالأسود والأبيض. هنا بقعة سوداء داكنة أكثر تركها زيت سيّارة أو بول، تحيطها بقع أصغر بكثير. هناك علكة بيضاء تحوّلت بعد مرور إطارات السيّارات وأقدام الإنسان فوقها، إلى رماديّة. وبين هنا وهناك يأتي تناثر الزجاج بعد حادث طرق يبدأه خطّان متوازيان عريضان أشدّ سواداً، وضعتهما الفرامل التي جهدت في وقف التفاف الإطارات، وفشلت. تنظر الفتاة خلفها لترى إن كانت قد تركت أيّ أثر.

يمتدّ الشارع مكملاً طريقه، ويصل إلى قطعة ما، غطّت فيها أوراق لأزهار بيضاء مساحة كبيرة منه.

رفعت الفتاة رأسها إلى أعلى ورأت شجرة لوز عالية زرعت خلف سور عال، مع الوقت تسلّلت أغصانها من خلف السور وامتدّت فوق الشارع. كانت الأغصانٍ مليئة بالأزهار البيضاء، تملأ الفراغات بينها زرقة سماويّة.

حدود ثوب عرسها كانت تتماهى مع الحائط خلفها، والآن، فوق سواد الشارع وزرقة السماء، يتّضح الأبيض.

صمت

ـ ١ ـ

تتقدّم أفواج الأصوات إلى الفتاة الصغيرة متزاحمة، كلّ فوج يحاول الوصول أوّلاً إلى أذنيها لينزل عليهما كمطرقة، وأذناها تفتحان ذراعيهما لها جميعًا. بعدما يصرخ الأخ تسمع الذباب، ثمّ يطير مبتعدًا، فتسمع همس عدّاد الكهرباء.

في العالم كلّه لا توجد لحظة صمت.

الأصوات التي تقتحم أذنيها لا تغادر فتتراكم فوق بعضها البعض. تدخل إصبعها إلى هناك محاولة سحبها إلى الخارج ولا تنجح، فتجلس وراء أذن أخرى لتستقبل تلك الأذن ما هو قادم بدلاً من أذنيها، محاولة هذه المرّة إيقاف التراكم، لكنّ الأصوات تريد كلّ الآذان.

الحرّ شديد وماكينة الغسيل تردّد بعناد كلّ يوم حارّ، صوتًا رتيبًا يرافق صورة العالم والأمّ إلى جانبه. بحثت الفتاة عن صمت لترتاح عنده، وقبل أن تصل إليه وصل الألم إلى أذنيها، فسدّتهما، لكنّها تسمع صوت انسداد الأذنين كالبحر مزيداً بذلك الألم الذي صار مرضًا.

ثمّ وقعت.

بعد وقت، بعدما تحوّل جسمها إلى لهيب، لم تعد تصل الأصوات، حتّى صوت انتشال الأمّ للمياه الباردة وسكبها على الجسم الملتهب. وصار تحرّك شفاه الأمّ يساوى عدم تحرّك شفاه الأب قربها، حينما سافر ثلاثتهم معًا.

حين وصلوا إلى غرفة بيضاء نقل الأب الفتاة من ذراعيه إلى السرير العالي. مدّ الطبيب يده إلى ثوبها رافعًا إيّاه، فدفعت يده بأقصى ما مدّها به ضعفها. حمل ضوءًا صغيرًا وأخذ ينظر إلى أذنيها، ليرى الأصوات التي دخلت دون أن تغادر، وشفتاها كانتا لا تزالان ترتجفان.

قال الطبيب دون أن تسمعه أنّها تعاني من التهاب شديد في الأذنين، وقد أحضروها في اللحظة المناسبة لأنّه كان من الممكن أن تفقد قدرتها على السمع لو تأخّروا قليلاً. وقال كذلك إنّ هذه الحالة من المرض ستعاودها طيلة عمرها، إذ إنّهم

تأخّروا قليلاً. هذا ما ستخبره إيّاها الأمّ بعد أن يُعَاودها المرض في المستقبل مرّات عديدة.

في طريق العودة كانت الأمّ تحرّك فمها بغضب ودون توقّف، والأب يمسك بالمقود دون تحريكه كثيراً دون أن يحرِّك شفتيه. على عدم تحرّك شفاه الأب تعلّق الصمت، وفوقه عينا الفتاة الصغيرة.

ـ ٢ ـ

الصفير الحادّ الذي يستولي على الأذنين كان الإشارة إلى الوقوع والوقوع كان الإشارة إلى امتلاء الأذنين بالأصوات. عندما تنهض يكون جسمها كورقة شجر يابسة؛ جفّفها الحرّ.

تستلقي الفتاة الصغيرة فوق سريرها داخل الصمت، والأمّ إلى جانبها تقطر سائلا زيتيًّا في أذنيها. بعد عدّة أيّام تأخذها إلى الطبيب فيبعثهما إلى الممرّض. يلفّها الممرّض بمريول بلاستيكيّ ملصقًا صحنًا حديديًّا باردًا برقبتها تحت أذنها، ثمّ يدفع بأسطوانة تشبه أكبر حقنة ممكنة إلى أذنيها، ويبدأ تيّار من المياه بالاندفاع داخلهما وخارجهما إلى الصحن الحديديّ الذي يجلس على الكتف. بعد ذلك، تختفي جنّة الصمت ويعود عالم الأصوات.

في البيت كان الضجيج دائمًا، لا يتوقّف إلاّ عند صلاة الأمّ أو أمام الباب المقفل لغرفة نوم الأمّ والأب. حتّى جهاز التلفزيون كان يشارك العائلة خشوعها. لكنّ الصلاة قصيرة وسرعان ما سيفتح الباب، فصار لا مفرّ إلاّ الفرار من كلّ احتمالات الأصوات والمرض، والبحث عن الصمت.

توقّفت الفتاة عن مشاركة الأخوة وجبات الطعام التي كانت فيها كمّيّة الصراخ أكبر من الطعام، وصارت تأكل وحيدة ثمّ تنام وحيدة في غرفة الجلوس لأنّ الصراخ لحق الأخوات إلى غرفة النوم. لاحقًا بنى الأب حائطًا فصل بين فراشها وفراش الضيوف، إذ إنّ أصواتهم علت على أصوات الأخوة.

لكنّ الأصوات لا تزال تزحف إليها عبر ثقب الباب وعبر الفراغ اللازم بين أسفله وأرضيّة البيت ومن بين الباب وإطاره ومن كلّ مكان.

في النهار ابتعدت في الحقول وفي المساء في سيّارة الأب حتّى ينام الجميع فتعود، تضع مفاتيح السيّارة فوق المدفأة وتدخل غرفتها حتّى مجيئ الصوت التالي، فتبتعد.

كانت الوحدة دائمًا تحرس للفتاة الصغيرة مكانًا في الصمت.

ـ ٣ ـ

يجلس الأب متربّعًا على البساط متعدّد الألوان والخطوط المستقيمة، محتويًا أكثر من نصف السدر المستدير لطول ساقيه، بينما الفتاة الصغيرة بالكاد تستطيع احتواء جزئه المتبقّي. وبينهما على السدر، يمتدّ صوت تحطّم الخيار في فم الأب.

ثمّ يتّجهان إلى السيّارة.

السيّارة تنقلهما إلى أينما كان، محتضنة إيّاهما في صمتها وعزلتها بينما تتغيّر الصور العابرة على نوافذها. كان صمت السيّارة يمتدّ حتّى نهاية الطريق حيث ساحة البيت.

الساحة هادئة إلى أن تبدأ بالامتلاء في جزئها الأيمن بالأخوات القادمات للّعب أو للشجار، يرافقهما في الحالتين الضجيج، فتنسحب الفتاة إلى السيّارة وتأخذ بمراقبتهنّ عبر المرآة

الصغيرة المعلّقة في الوسط، وأصواتهنّ من البعيد تخترق الزجاج كهمس.

في طرف المرآة الصغيرة، تقف الأخت السابعة قرب حجرين وُضِع عليهما عود صغير، وفي يديها تمسك بعود كبير تقرِّبه الآن من العود الصغير. تنظر إلى فوق ثمّ إلى العود ثمّ إلى فوق ثمّ إلى العود ثمّ إلى فوق ثم تدفعه بالعود الكبير فيعبر المرآة بسرعة ويخترقها ثمّ يختفي، وخلفه تختفي الأخوات.

هكذا يبدون فلا يبدونّ لاحقات بالعود الصغير، حتّى جاء المطر وأخفاهنّ تمامًا داخل البيت.

تسقط نقاط المطر الأولى على سقف السيّارة، فيبدو كأنّما المطر شديداً، وعندما يشتدّ يصبح صوته ناعمًا كالهمس. من هنا من داخل السيّارة، البلل والأصوات يبدوان بعيدين، بينما في المدرسة، عندما ينزل المطر في الخارج تبقى الأصوات داخل الصفّ. الصمت الوحيد يأتي بعد الطرق الخفيف على الباب وخلفه الجار حاملاً معطفها.

الأولاد في المدرسة يقولون إنّ الجار يحبّها.

توقّف المطر، ففتحت باب السيّارة وأغلقت عينيها لتمنع دخول الهواء البارد فالمحرق إليهما، ومشت عبر الساحة ثمّ فوق

الوحل حتّى وصلت إلى الشجرة خلف بيت الجار، وبدأت تنتظر خروجه.

مشيا معًا فوق الوحل ثمّ عبرا الساحة حتّى وصلا إلى السيّارة. بعدما أقفلا باب السيّارة خلفهما عاد المطر، وبدءا اللعب بصمت.

يد اقتربت إلى جسم الآخر بسرعة ما اقتربت يد الأخت السابعة من العود الصغير. تضع يدها على يده. تضع يدها على وجهه. يضع يده على رِجْلها. تضع يدها على شعره. يضع يده على ظهرها. تُدْخِل يدها تحت ملابسه فوق صدره. سمعت يدها ضجيج قلبه، ثم عاد يختفي عندما أبعدت يدها عنه.

لعبا ولعبا حتّى نهاية المطر، ولم تُعِد الفتاة الصغيرة يدها إلى قلب الجار أبدًا، ليبقى الصمت يحفظ سرّ لعبة ال«بحلا» بينهما.

ـ ٤ ـ

تقف الفتاة الصغيرة على حافة الشرفة معانقة تقشّر الطلاء على العامود قربها، تغطّي شعرها بمنديل الأمّ وعيناها لا تفارقان الشارع البعيد أمامها. من بعيد بدا غياب الأصوات.

بعد مرور سبع عشرة سيّارة سيحضر الأخ. واحدة اثنتان ثلاث أربع خمس ستّ سبع ثماني تسع عشر إحدى عشرة اثنتا عشرة ثلاث عشرة لا تدري إن كان سيحضر الأخ أربع عشرة خمس عشرة ليته يأتي ستّ عشرة ربما لن يأتي سبع عشرة. صفير سيّارة الإسعاف يخترق المنديل فوق أذنيها.

كان الصفير في الأذنين بنعومة بداية موجة جديدة، كلّما اقتربت إلى الشاطئ ازدادت خشونتها وضجيجها وضجيج النساء الفوضويّ كالرغوة.

وصلت السيّارة إلى ساحة البيت.

ألصقت رأسها بالحائط رغم خشونة تقشّره وعيناها تعلّقتا على الباب الخلفيّ للسيّارة الذي سيُفْتح ويقفز من خلفه الأخ مسرعًا فوق الدرج إلى الشرفة راميًا المنديل عن أذنيها ليصرخ بأعلى صوت ثمّ تموت.

فُتِحَ البابُ ولم يقفز الأخ، بل سُحِبَ محمولاً بسرعة فوق الدرج إلى الشرفة ثمّ إلى خلف باب البيت.

قليلاً، وتسلّلت إلى هناك.

الأمّ تجلس على البساط المتعدّد الألوان في خطوط مستقيمة وساقاها يحيطان برأس الأخ الهادئ. بقيّة جسمه مغطّاة بشرشف أبيض مكويّ عليه مربّعات بنّيّة لونها باهت. المكان صامت. لا صوت منه أكثر.

أصغت الفتاة الصغيرة إلى الأخ الميت جيّدًا، لكنّ الصمت بقي وجوده الوحيد، إلى الأبد.

ـ ٥ ـ

فتحت الأمّ الخزانة التي اختبأ داخلها جارووران صغيران. الجارور الأول كان للأب وهو مليء بالجوارب، أمّا الثاني فللأمّ ولم يكن ممتلئًا.

لم تقترب الفتاة الصغيرة من الخزانة الكبيرة، وبقيت تراقب ما يحدث من فوق سرير الأب البعيد، لكنّ لباس الأمّ الأسود لم يمكّنها من رؤية شيء، فكان كلّ ما وصلها هو أصوات البحث من داخل الجارور الثاني، واصطدام الأساور الذهبيّة على اليد الباحثة.

عندما استدارت الأمّ أخيرًا، كان بين أصابعها صورة صغيرة.

بعد أيّام، تحوّلت صورة الأخ الصغيرة لصورة كبيرة، عُلِّقَت على الحائط فوق جهاز التلفزيون نكاية بالموت.

باب الغرفة مفتوح ومستطيل، فتستطيع الفتاة مشاهدة التلفزيون من سريرها حتّى آخر لحظة من الصحو.

لو كان الجهاز مشغّلاً لبقيت عيناها عليه. مع الموت ذهبت الصورة من التلفزيون وحلّت صورة الأخ فوقه.

منذ وقت، عيناها على الصورة الجامدة، حيث تريان وتظلاّن تريان إلى الأبد ربطة العنق المائلة التي يضعها الأخ، إذ لم يأخذ بعضًا من الوقت، ليس كثيرًا، ليرتّبها.

لو ينزل طرف ربطة العنق الأيسر قليلاً فقط. تغمض عينيها لتعجّل قدوم النوم، ثم تعود وتفتحهما.

باب الغرفة مستطيل مستقيم، في الوسط التلفزيون وفوق التلفزيون الصورة تحمل فوضى ميلان ربطة العنق.

أمالت رأسها فمال كلّ المستطيل وداخله بقي ميلان الربطة. لو كان التلفزيون مشتعلاً، لتغلّبت صوره المتغيّرة على صورة الأخ الثابتة.

زحفت إلى حافة السرير وجعلت رأسها خارجه، لتتمكّن من إمالته أكثر فتعيد الاستقامة إلى الربطة، لكنّ ميلان المستطيل اشتدّ وهي لم تستقم.

سحبت جسمها حتّى صار نصفه خارج السرير، ليمكّنها الميلان قدر ما تشاء، ثمّ وضعت يدها على الأرض داعمة إيّاه في

وضعه الجديد. إنّ ما تراه الآن على الأشياء ليس ميلانًا، إنّما أشياء توشك على الانهيار، فالتلفزيون يريد النزول عن الطاولة والطاولة تريد الدخول إلى الغرفة ومستطيل الباب سيقع ويجرف معه الصورة فستسقط وتملأ الأرض زجاجًا سيندفع باتّجاهها إلى يدها التي على الأرض والزجاج بين أصابعها بارد ثمّ مؤلم ودم فرفعت يدها بسرعة وبسرعة سقط جسمها على الأرض.

خرج الصوت ضعيفًا حاملاً البشرى بالبكاء عبر صمت البيت، عندها استجاب ظلٌّ أسود قفز إلى المستطيل أمامها مخبّئًا التلفزيون والصورة خلفه.

رفعت الأخت السادسة الفتاة إلى السرير، ثمّ اتجهت إلى جهاز التلفزيون وأشعلته مخفضة الصوت إلى أقصى درجة كي لا يصحو أهل البيت على عدم احترام الأخ الميت.

بقيت الفتاة الصغيرة في سريرها تنظر عبر مستطيل الباب إلى الصور المتغيّرة على الشاشة، محوّلة أنظارها من حين إلى آخر إلى الأخت السادسة، التي جلست معها تشاركها الصمت.

ـ ٦ ـ

سيّارة تدور في ساحة البيت باحثة عن الظلّ.

تبدو القدم الأولى في الهواء ومباشرة تهبط على التراب ثمّ الثانية حتّى تصبح ثماني.

لا يزال الأربعة يدورون بصمت في الساحة منتظرين انتباه أهل البيت دون أن ينتبهوا إلى الفتاة الصغيرة داخل سيّارة الأب بصمتها الأشدّ. تراهم في مرآة السيّارة ثمّ تخرج إليهم، وفي نقطة الالتقاء يستمرّ الصمت.

دخلت إلى خلف باب البيت ثمّ خرجت من ورائه الأمّ والأخت الرابعة والأخت الخامسة والفتاة لا تبدو من خلفهنّ، لاستقبال الدهّانين الأربعة. وصاروا يأتون صباح كلّ يوم.

الحبّ يحدث في السرّ، لكنّه يبدو عندما يستمع الابن الأكبر بشدّة أكثر من البقيّة للأخت الرابعة التي تحدّثهم عن

الألوان ومكانها في الغرف. صوتها البارد مثل دخان الصباح يدخل أذنيه وحده فقط.

ويذهب الصباح والأخت الرابعة حتّى الظهر عندما تأتي الأخت الخامسة مع وجبة الغداء، حاملة السدر المزدحم، وتمشي كأنَّ كلَّ شيء تحت قدميها ناعم ومستقيم. الأمّ تسكب الطعام حتّى قبل النهاية بقليل، عند بداية وجهي الأميرة والأمير المرسومين في أعلى الصحن من الداخل، ورغم طول الطريق وصعوبتها، لا يتجاوز الطعام، حتّى الشوربة، الوجهين.

ويلاقيها الابن الأوسط في نصف الطريق حيث لا يوجد أحد، وفقط دخان الطعام يفصل بين الوجهين.

تمسك الأخت الخامسة السدر بيديها في نقطتين، ويقترب هو ليشاركها إيّاهما. الطلاء دائمًا جافّ على يديه، فلا يترك أيّ أثر على يديها عندما يحدث التبديل، حذرين كي لا يسيل الطعام خارج الصحون. كلّ يد فوق كلّ يد حتّى تفترقا ببطء باتّجاهات معاكسة ويشتدّ الحبّ.

الفتاة لا تحمل سدر الطعام الكبير، لكنّها أيضًا لا تحمل صينيّة القهوة الصغيرة، ولا زالت تنتظر كلّ يوم حدوث الحبّ مع الابن الصغير، ناقلة انتظارها بين البيت وسيّارة الأب قرب سيّارة أبيه. وهو لا يأتي.

في ليلة ما من ليالي الطلاء انتظرت قدوم الصباح لتطلب من الدهّانين طلاء الغرف باللون البرتقاليّ كلون قميصه. لكنّهم طلوا كلّ شيء بالأبيض.

الصينيّة نظيفة والشاي مرتّب في الكؤوس الصغيرة. تحملها الفتاة بحذر يصبح بطئًا من أجل أن يصبح الحبّ. وصلت إلى نصف الطريق ولم يكن بانتظارها الدهّان الصغير. يداها ترجفان من التعب. الطريق المتبقّية مليئة بالألوان التي تسيل في كلّ اتّجاه، وتحاول عدم المشي على الألوان فتطول الطريق عندما تمشي مع السيلان وسطول الدهان والفراشي. كلّما اقتربت من الدهّانين زاد الارتجاف في يديها، وفي نقطة الالتقاء، لم تبق أيّ نقطة من أيّ شاي في أيّ كأس.

خرجت الفتاة الصغيرة من البيت وبدأت بالصفير لتدخله إلى أذنيها لتمرض لتموت بعيداً عن أيّة عيون وأيّة آذان.

يأكل الصفير أنفاسها فتتوقّف لتعبِّئ الهواء، الذي كان له طعم الطلاء، من جديد. خلال ذلك الوقت الذي لزمها لتعبئة الهواء، حلّ صفير آخر فجأة. نظرت حولها باحثة عن مصدر الصفير الآخر ولا تر من أيّ فم يأتي، لكنّه كان يأتي من حيث تُطْلى الغرف. وراحا يصفّران يومًا بعد يوم، إلى آخر يوم من الطلاء.

ثم عاد الصمت وأنهى الحبّ.

ـ ٧ ـ

حلمت الفتاة بأنّ جسمها يصعد إلى السماء وهي تبقى تحت تنظر إلى الطريق التي تبدأ ببناية مهدّمة تتحوّل إلى كرمة يابسة، أغصانها تملأ كلّ اتّجاهات السماء فتقلّ تدريجيًّا حتّى يبقى غصن واحد، تقف عند نهايته تنتظر اللّه قليلاً، فيحدث برق عظيم بلون العنب دون أيّ رعد.

تتحرّك الفتاة من فراشها إلى الحمّام.

في الليل قد يعيش الصمت لولا الأصوات الصغيرة التي تخنقها الأصوات الكبيرة في النهار. هذا هو فراشها الذي تحرّكت منه. هو الماء الذي تعلّق على أجفانها فتسمع صوت تفكّكه كلّما فتحتهما وأعادت فتحهما. اللّه وحده لا صوت له.

تقف لتصلّي ثمّ تجلس.

لقد بدأ الابتعاد عن الأصوات من أجل الابتعاد عن المرض، ثمّ على ذات الطريق صارت الأصوات تبتعد عنها. في المدرسة لا أحد يتحدّث معها، وفي البيت لم تعد جزءاً منه. كأنّ شجاراً عظيماً حدث مع الجميع والصمت هو العقاب. مساحته امتدّت إلى كلّ جانب نظرت إليه. اللّه أبعد أصوات آدم وحواء من الجنّة، ثمَّ على ذات الطريق ابتعدت الأصوات عنه ونسيته. لكنّ اللّه أكبر بصمته.

رأسها المنحني يدفع بأنظارها إلى بلاط البيت الفاقد لمعانه في الليل لصالح النجوم، والضوء الخفيف جاء فقط من الاعتياد على العتمة.

فجأة دخلت المساحة البادية أمام الرأس المنحني قدمان، فخبر الضوء الخفيف عن حجمهما المتورّم، ثمّ تعفّن الإظفر على الإصبع الكبير في القدم اليمنى. كانت الفتاة الصغيرة تمسك بثوب الأمّ وتنظر إلى الطريق في طريقهما إلى الطبيب، فترى تعفّن الاظفر الذي يسبقها. لم تره الفتاة منذ أن صارت تذهب إلى الطبيب لوحدها.

قدما الأمّ لا زالتا لا تتحرّكان كجزء من الصمت الذي احتلّ أوّل مرتبة بينهما، كغضب أحيانًا كثيرة، والأحيان المتبقيّة

كثقل. وقد تفتح الأمّ فمها في أيّ لحظة فاتحة الستار أمام أهل البيت لرؤية آخر مشهد من تمادي المرض الذي بدأ بالأذن وانتهى بالعقل، إذ إنّه في هذا الوقت من الليل، النوم خير من الصلاة. الفتاة تحاول قبل بدء حركة ستار فم الأمّ، استجماع لامبالاتها. إنّ الصمت لا يمكن أن يكون أشدّ صمتاً وأشدّ سوءاً.

رفعت رأسها باتّجاه الأمّ، وكانت شفتاها تصنعان ذاكرة ابتسامة قديمة.

ابتسامة الأمّ جاءت بصمت لصلاة الفتاة.

ـ ٨ ـ

كان صوت المؤذّن مثل مسحوق ناعم يتطاير بصمت.

تجلس الفتاة على مقعد حديديّ يتّسع لشخصين أو ثلاثة على الأكثر لوحدها. حافة المقعد اليمنى تحاذي حافة البحر.

قبالتها تبدو الأسوار العالية البعيدة ومحاولات الأمواج المتكرّرة لتسلّقها. لقد لجأت إلى المقعد الوحيد في الميناء هربًا من بلل الأمواج على تلك الأسوار.

وكأنّ ذلك البحر ليس هذا البحر الساكن قربها. الضوء المتسرّب إلى عتمته يشرح حركة قطعة من كيس بلاستيكيّ أزرق داخل المياه. حركة قطعة البلاستيك بنعومة حركة حوريّة البحر، وكما كان ثمن خروج الحوريّة إلى اليابسة هو الصمت الأبديّ

كان دخول البلاستيك إلى البحر مصحوبًا بصمت أبديٍّ. هذا صمت كثمن. يوجد كعقاب من الجميع، كلامفرّ من الأب.

أمّا صمت زواجها فقد كان طوعيًّا.

انتهى الأذان.

حركة

ـ ١ ـ

تجلس الأمّ على كرسيٍّ هزّاز يهتزّ حتّى تزول الحركة عنه، فتعود وتعيدها إليه. أمامها تقف الفتاة الصغيرة على حافة الشرفة ممسكة بإطارها الحديديّ وعيناها إلى السماء تتعلّقان بحافة غيمة ما، ثمّ تبدأ رحلتها في الفضاء على ظهر الشرفة والأمّ خلفها حتّى تختفي خلف الأفق، فتعيد رأسها فوقها مباشرة وتنتظر الغيمة القادمة.

داخت الفتاة فجلست على الحافة ودفعت برأسها بين القضبان التي لا تسمح بعبوره، فتوقّف قبل الأذنين بقليل ليتوقّف الدوران في الرأس المنحبس، ولكنّه استمرّ في بقيّة العالم حيث تمتدّ الحقول أمامها. بالاتّجاه نفسه لحركة الغيم تتحرّك المليون عشيّة أو أكثر. نعومة شعر البحر الأخضر بنعومة شعر الشمس لحظة ينسدل من بين الغيوم.

من بين قضبان الشرفة يبدو نفخ الريح فوق الأعشاب خفيفًا، حيث يديرها إلى الخلف فيصبح الأخضر أقلّ من أخضر الأمام. تتابعه الفتاة يجري إلى الأعلى حتّى نهاية الحقول أو نهاية الريح.

أخرجت رأسها من بين القضبان ببطء وأخذت تبحث عن المكان الذي تعلّقت به عينا الأمّ، وقبل أن تجده نهضت الأمّ فتحرّك الكرسيّ باهتزازات سريعة.

لم تتوضّأ الأمّ، لأنّها لم تمسّ الحرام منذ صلاة الظهر، واتّجهت مباشرة إلى ماكينة الخياطة حيث وضعت سجّادة الصلاة الخضراء المهترئة، ولا تزال سجّادة الصلاة الحمراء الجديدة في الخزانة تنتظر الخروج في العيدين، الصغير والكبير، من كلّ عام.

تمسك بطرفي السجّادة، وتدفعها في الهواء ثمّ تبعد يديها لتتركها تسقط على الأرض بحريّة. أحيانًا ينثني أحد الأطراف في الجهة المقابلة، وعندما تهبط على السجّادة، تدفع الطرف المثنيّ بلطافة، دون أن يكون هذا الدفع اللطيف جزءًا من أداء الصلاة.

بعد «سبحان ربّي الأعلى، سبحان ربّي الأعلى، سبحان ربّي الأعلى»، تُرْجع الأمّ ظهرها إلى الخلف فتنسحب يداها دون

أيّ مقاومة على طول السجّادة حتى تصعدا إلى الركبتين لتبقيا هناك وكلّ آثارهما باقية على المخمل حيث مرّت قبل قليل الأصابع العشرة. عشرة خطوط مخمليّة أدارت شعرها الناعم إلى الخلف حيث صار الأخضر أقلّ من أخضر الأمام.

تتابع الفتاة الصغيرة جريانها على طول السجّادة حتّى نهاية حقل العشب المخمليّ، بعد حركة الأمّ والريح.

ـ ٢ ـ

في قديم الزمان وضع بعض الرعيان جذع شجرة ميت في عنق الوادي لتسهل حركتهم وحركة قطعانهم.

في الحاضر تقف الفتاة الصغيرة على ذلك الجذع تراقب أطفال الضفادع داخل المياه. تحاول تتبُّع حركة أحدهم ولكنّها تفقدها مع حركات الآخرين. حركاتهم دائمة، ولا تستطيع إيقافها.

رفعت يدها اليمنى قليلاً عن وجه المياه فبدا ظلّ اليد في عمق الوادي الرماديّ، وصارت تراقب مرّة أخرى تحرُّك المخلوقات الصغيرة ولكن هذه المرّة، فوق ظلّ يدها الكبير. أنزلت بجسمها قريبًا إلى المياه وجلست كما تقف الضفادع، عندها صغر ظلّ اليد محتويًا حركة ثلاثة أطفال على الأكثر. عندما قرّبت يدها

إلى أقصى حدٍّ قبل البلل صارت تحدث فوقه حركة واحدة على الأكثر، فحاولت تحريك ظلّها بسرعة الضفدع الصغير، لكنّ الظلَّ فقد قدرته على التمييز بين مختلف الضفادع المتشابهة، ثمّ اختفى دون أن ينجح باصطياد أيّ ضفدع. الشمس انتشلته من الوادي وغادرا معًا أوّلاً وراء الشجرة ثمّ وراء الجبل.

رغم التعب من رحلة الصيد، لم تستطع الفتاة إيقاف عينيها عن مراقبة الحركة الدائمة في كلّ شيء، فالتصقت بسيجارة الأب الذي وجدته جالسًا على الشرفة، عند عودتها إلى البيت. بين صمت الأب وصمتها، انتشر دخان السيجارة. ويخرج دخانان، واحد من الأنف والثاني من قمّة السيجارة. الذي يخرج من السيجارة يصعد أوَّلاً بخطّ مستقيم ثمّ بعد قليل ينتشر على الجانبين ويصير يشبه حركة الدخان الخارج من الأنف، فأخذت تلاحق السيجارة في يد الأب لتقصّ الدخان الصاعد منها بأصابعها، قبل أن ينتشر على الجانبين. تحاول القصّ جيّدًا ولكنّها لا تستطيع إيقاف الدخان الذي التفّ حول الأصابع واستمرّ بالصعود ثمّ الانتشار.

لقد تجاهلت حركة الدخان يد الفتاة الصغيرة كما تجاهلت حركة أطفال الضفادع ظلّها.

ـ ٣ ـ

عندما يأتي الصيف تيبس الأعشاب الخضراء في الحقول رغم أنّها لا تزال مزروعة في الأرض، وتنضمّ إلى بقيّة الأشياء الخشنة الملمس، ثمّ تأتي الماكينات الخضراء لتقطعها. حتّى من قريب، تبدو الجذور الصفراء ناعمة بلمعانها في الشمس، لكن عندما تصير حركة الأرجل فوقها، تظهر عدم نعومتها.

حتّى لو صار النسيم الحاليّ عاصفة قويّة لن يكون من الممكن تحريك الجذور الصفراء كمخمل الحقول الخضراء.

مكعّبات القشّ رُمِيت فوق النصف المحصود من الحقول، وإليه يتّجه الرعيان الذين اختلطوا ببعضهم وكذلك قطعانهم خلفهم وخلفها الغبار ثمّ الطريق والوادي والجبل وعليه الشرفات التي يجلس فوقها المشاهدون لكلّ هذا الانطلاق الذي حضر بغياب الحصّادين.

الجميع يعرِّف هذا الانطلاق بالانتقام على منع الحركة الحرّة للقطعان والرعيان والكلاب المرافقة، على أيدي حركات حماية الطبيعة.

تفرّق القطيع فوق النصف المحصود وتجمّع الأولاد عند مكعّب قشّ لتقرير بدء الحركة دون إشراك الفتاة الصغيرة، فبقيت مع أكبر الرعيان لحراسة القطيع.

الشمس ذاهبة وقد تختفي بعد قليل. ذيولها تندفع بمساعدة الريح إلى أنف الراعي الكبير ثمّ تصعد إلى عينيه لتغلقهما.

وراء كومة القشّ اختفت أصوات الأولاد وتبدو أصوات القشّ فقط من تحت مؤخّرتها ورأس الراعي الكبير.

مدّت الفتاة يديها إلى السماء الناعمة فوقها فلم تشعر بملمسها لشدة نعومتها، في حين امتلأت قدماها بالخطوط البيضاء الناشفة المتقاطعة مع بعضها البعض بعد ملامستها للجذور الخشنة.

نعومة السماء فوق نعومة الشمس فوق نعومة أنف الراعي الكبير وتحته تميل الأعشاب اليابسة. إحداها يصل تقريبًا إلى داخل أذنه وسيصل إذا التفت إليها.

المكان يمتلئ بالانتظار. المغيب بحركة الشمس، الرعيان بحركة المغيب، الماعز بحركة الرعيان، الراعي الكبير بحركة الماعز، والفتاة الصغيرة لالتفاتة الراعي الكبير.

بعد الانتظار سيحلّ الانتقام على كلّ المكان في حركة سرّيّة.

التفت الراعي الكبير إلى الجانب الآخر الذي لا تجلس فيه الفتاة فلم تصل أبدًا العشبة اليابسة إلى أذنه. انتقلت إلى الجانب الآخر وألقت برأسها قريبًا جدًّا من الأنف الذهبيّ وكان كلّ ما رأته. ربّما الشمس دفعت برأس الراعي مرّة أخرى إلى الجانب الآخر.

الحركة السرّيّة بدأت من حول وأخذ الدخان يتصاعد منها. رفعت رأسها فرأت نار الدخان تنتشر فوق الحقول، ملتهمة صغارها والأولاد يقفزون فرحًا هاربين. الجميع يرى تحوّل الحركة السرّيّة إلى حريق فاضح وعينا الراعي الكبير لا تزالان مغلقتين منذ البداية، فانتقلت إلى الجانب الآخر وألقت برأسها عند رأسه، لكنّ مساحة ما من العشب بقيت بينهما، فتصل أنفاسه المتسلّلة بين الجذور إلى وجهها كنعومة السماء، واقتربت أكثر ولم يبتعد فأكثر حتّى لمس فمها شفتيه الكبيرتين.

وصل الأولاد الهاربين إليهما فنهضا وانضمّا إليهم، يسبقهم الماعز والجبل يسحب الشمس من أمامهم.

في الحركة إلى الأمام نظر الأولاد خلفهم خوفًا من أن تكون حماية الطبيعة عرفت بحركتهم السرّيّة، وفي الحركة إلى الأمام نظرت الفتاة الصغيرة خلفها إلى الراعي الكبير ثمّ أمامها إلى الشرفات البعيدة خوفًا من أن يكون المتفرِّجون قد عرفوا بحركتها السرّيّة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ـ ٤ ـ

رذاذ قليل يأتي على زجاج النافذة متسلّلاً من الاتجاه المعاكس لحركة الريح.

يوجد في الغرفة ثلاثة شبابيك وباب واحد وجميعها مغلقة، لا زال البرد يدخل. فجأة ساد الهدوء. جاء المعلّم، لكنّه لم يبق طويلاً. وضع يده على أنفه وعاد إلى الباب، وبضربة قدم واحدة فتحه حتّى النهاية فأمسكت به الأرضيّة ولم يتحرّك بعدها.

بقي الهدوء على الصفّ منضمًّا إليه البرد عبر إطار الباب المفتوح. البرد يجعل الجسم يتحرّك إراديّاً، وبعد لحظات تحرّك كرسيّ فطاولة ففم فأكثر، إلاّ أنَّ كلّ شيء عاد إلى سكونه السابق حين أطلّ رأس المعلِّم مرّة أخرى من الباب، ثمّ عاد واختفى بعد

أن وضع الصمت بنظرة قصيرة في ذات الجوِّ المزدحم بالأنفاس والبرد والذباب.

جذبت حركة الذباب المستمرّة، دون الاكتراث للبرد أو للمعلّم، انتباه الفتاة الصغيرة، وصارت تتتبَّع بأنظارها ذبابة واحدة في قفزها من طالب إلى آخر ثمّ إليها وإلى طاولتها متوقّفة عندها لتحكّ أرجلها الأماميّة فتعود تطير إلى حافة ظهر الكرسيّ أمامها.

حاولت الفتاة الإمساك بها بين يديها الصغيرتين، لكنّ الذبابة كانت أسرع منها، فتعود وتحاول مرّة ثانية، وما تكاد تضمّها بيديها حتّى تفلت في اللحظة الأخيرة، مرّة بعد الأخرى، إلى أن شعرت الملمس الثقيل على ظهرها.

كان المعلّم واقفًا خلفها، يحمل الأنبوب المطاطيّ ويبتسم، وبقيّة أولاد الصفّ صامتين، ثمّ تحرّكت كلّ الأفواه. كلّهم يضحكون.

بدأت الفتاة بالركض كي تصل إلى البيت قبل أن يصل أيّ شخص في العالم إلى بيته، وفي ركضها كانت تنظر إلى سرعة الأرض تحتها. الحجارة وبرك المياه الصغيرة وأكوام الوحل ونقاط الإسفلت اللامعة بالمطر، كلّها تبدو كما تبدو عند السفر في سيّارة الأب.

من بعيد رأت الأمّ وظهر الأب قبالتها، واضعًا الكفّيّة الحمراء على رأسه في كلّ مرّة برد، فركضت باتّجاهه ثمّ قفزت على ظهره. عندما دار الأب بوجهِهِ إلى الوراء رأت الفتاة الصغيرة وجه الجار الكبير. نزلت عن ظهره ببطء ناظرة إلى فمه وفم الأمّ اللذين امتلآ بالأسنان والضحك. كان في يد الجار الكبير سكّين، وبينه وبين السكّين دجاجة.

وبقي الضحك يحرّك السكّين في الهواء لوقت طويل.

ـ ٥ ـ

لم تغيِّر السماء صمتها وشكلها ومكانها بعد صعود روح الأخ إليها. ترفع الفتاة الصغيرة عينيها باحثة عن أثر ما. تمشي وتتوقّف، تركض وتتوقّف ثمّ تجلس، تبحث. لكنّ السماء لا تزال كما هي، ولا تبالي بكلّ الحركات فوقها.

عادت إلى حافة الشرفة تنظر إلى التراب. تحت التراب سيوضع الأخ، وفوقه تجلس النساء الزائرات.

أزالت عينيها عن النساء ووضعتهما على السيّارات البعيدة فتبدو بطيئة. بعد سبع عشرة سيأتي.

السيارة السابعة عشرة تركت الشارع الرئيسيّ لتصل إلى شجرة التين المغبّرة عند رأس الشارع الذي يصل إلى البيت.

كانت السيّارة السابعة عشرة تقف في الساحة. فُتِحت أبوابها الخلفيّة وسُحِب الأخ من داخلها محمولاً على سرير ضيّق. النساء الزائرات نظرن باتّجاه السرير ثمّ باتّجاه أقدامهنّ، وصار عليهنّ ارتجاف البكاء وعلى الأخ ارتجاف السرير المحمول على الأكتاف.

تابعت الفتاة الحمل منذ بدايته وحتّى وصوله إلى الأمّ في غرفة الجلوس حيث تجلس لوحدها. سقط الأخ من السرير إلى الحضن. بعد وقت، صار وجهه مبلولاً لأنّ عيني الأمّ كانت فوقه تمامًا، لكنّها بدل أن تمسح البلل عن وجهها، مسحته عن وجهه. تُمشي يديها من العينين إلى الخدّين ثمّ تتلامسان فوق فمه وهكذا على التكرار في حركات بطيئة كأنّها تلعب «بحلا»، ولا تزال الأساور الذهبية معلّقة بيديها. كلّ إسوارة تدفع التي أمامها حتّى تصل إلى وجه الأخ. لا بدّ أنّ ملمسها البطيء عليه بارد. وصوتها لطيف عندما تتساقط فوق بعضها بعد أيّة حركة ولو غير ملحوظة في عتمة الغرفة.

ازداد بكاء الأمّ ليتحوّل إلى صراخ، فتحوّلت حركة الأساور البطيئة على وجه الأخ إلى حركات سريعة، وامتلأت غرفة الجلوس بالنساء والأخوات، اللاتي حاولن تخليص الأخ الميت من يدي الأمّ. كلّما شددن شدّتْ يديها عليه، وهو لم يكن يبالي بكلّ الحركات فوقه.

ـ ٦ ـ

مرآة كبيرة تقف في وسط غرفة الجلوس ومرآة صغيرة موضوعة في حقيبة الحلاقة المعلّقة في الحمّام.

يوم نعم ويوم لا يجلس الأب لحلاقة ذقنه. تحمل الفتاة الصغيرة أحد الكراسي وتضعه في غرفة الجلوس ثمّ تحضر حقيبة الحلاقة، تخرج المرآة الصغيرة وتضعها على الكرسيّ. أخيراً تذهب إلى المطبخ لتعود بكأس مملوءة حتّى النصف بالمياه النظيفة.

قذارة المياه في الكأس ترافق نظافة ذقن الأب بمساعدة يده التي تمسك جيّداً بالفرشاة القديمة، لكن يبقى قليل من الصابون عند أذنيه. ثمّ يجلسان، هو ليتناول الإفطار وهي لتراقب حركة عظام رأسه قرب العينين، حينما يمضغ الطعام.

يستقلّ الأب سيّارته دون أن تعرف الفتاة إلى أين يذهب حتّى وإن رافقته. أحيانًا ترافقه وأحيانًا تبقى تنتظر عودته في الشرفة أو داخل البيت.

تراقب الأخت الثالثة دخول الأب إلى السيّارة ثمّ تحرّكها تاركة خلفها ساحة البيت فارغة، فتقفز أمام المرآة الكبيرة.

والمرآة الكبيرة واقفة في وسط غرفة الجلوس تظهر جمال ما يحدث أمامها.

مهما ازداد غياب الأب لا تتوقّف يدا الأخت الثالثة عن التمشيط. مرّة تمشّط شعرها إلى الأمام، مرّة تمشّطه إلى الوراء، إلى الجانب وبعدها إلى الجانب الأخر، وتصير تقف في أشكال مختلفة، وفي مرّات أخرى تصنع مائة جديلة أو مائة وخمسين. مرة صنعت مائتين. ولديها علب عديدة من طلاء الأظافر، الذي تضعه وتعود تمحوه، فيتكوّم القطن الملوّن على حافة المرآة فوق الشعر الساقط من رأسها.

من بعيد، قرب النافذة، تبدو ببحثها عن الجمال كأنّها ترقص بدون موسيقى. تراقبها الفتاة الصغيرة من حيث تجلس دون حركة عدا تنقّل عينيها منها وإلى الساحة حيث أطلّت نافذة غرفة الجلوس، منتظرة عودة الأب. وأحيانًا، نقلت الأخت الثالثة عينيها من المرآة إلى ذات النافذة أيضًا، منتظرة عودة الأب، قبل أن يمسكها تفعل حركات الرقص والجمال.

ـ ٧ ـ

يوجد لدى الأب حذاءان، قديم وجديد. عندما يكون في البيت، تضع الفتاة الصغيرة القديم، فتصير حركتها بطيئة زاحفة. إن رفعت إحدى قدميها عن الأرض، ارتفعت القدم دون الحذاء، وإن ركضت طار الحذاء في الهواء.

عندما يريد الأب المغادرة يطلب الحذاء القديم، فبقي الحذاء الجديد جديداً.

قبل أن تعطيه إيّاه، تحمل حذاءها الصغير في يديها، وأثناء انشغاله بدفع قدميه داخله، تكون هي تركض باتّجاه السيّارة، ثمّ يتّجه إلى السيّارة ويجدها هناك على المقعد الأماميّ لا تتحرّك ولن تتحرّك، وبين يديها حذاؤها الصغير.

تراقب الفتاة حركة حجارة الرصيف السريعة من نافذة السيّارة، حين لا تعود حجارة، إنّما خطوطًا. فوقها تمامًا يجيء

العشب أو التراب، ورغم سرعته لا يزال يشبه كثيراً العشب أو التراب، ثمّ تأتي الأشجار عجائز بطيئات، والبيوت في الأفق فوقها لا تتحرّك إلاّ بعد كثير كثير من الابتعاد.

أمّا الشمس فتحضر أحيانًا إلى الشبّاك الأماميّ أو الجانبيّ وتلتصق به. لا تتحرّك أبداً إلاّ إذا تحرّك اليوم، فيبقى المسافرون الثلاثة معًا حتّى العودة إلى البيت.

تنزل الفتاة من السيّارة وتبدأ باسترجاع المشي إلى قدميها بعد الجلوس المتواصل خلال السفر.

قدماها الضعيفتان تجعلان مشيها اهتزازات ناعمة يصنعها النسيم العابر فوق الساحة، فيحرّكها يساراً ويميناً، إلى الخلف وإلى الأمام حتّى تصل درجة البيت الأولى، وقربها يكون حذاء الأب القديم قد سبقها. من فوق الدرجة، حينما تنشغل بخلع حذائها ودفع قدميها في حذاء الأب، يعود النسيم إلى العبث بأوراق الزيتون التي جُمعت في كومة كبيرة، على يد العائلة التي حضرت من أجل قطف الزيتون.

أمّ وأب ثمّ خمس بنات يجلسون معًا في نهاية الساحة أمام البيت الصغير المخصّص لهم وللمحصول، يبعدون الأوراق والعيدان ممّا جنوه خلال الصباح، والابنة الكبيرة تمشّط شعرها الأسود الناعم والطويل جدّاً دون توقّف بالاتّجاه ذاته وبالحركة

ذاتها، من أعلى إلى أسفل أمام الجميع، حتّى أمام الأب الذي كان يحضر أحيانًا خلال اليوم ويجلس بالقرب من العائلة.

الابنة الكبيرة لا تزال تمشّط شعرها وترمي به من جانب إلى آخر، كما لم تفعل أبدًا الأخت الثالثة، حتّى جاء ذلك اليوم في ذلك الموسم. طلب الأب الحذاء القديم، فأسرعت الفتاة إلى صندوق الأحذية من أجل الحذاء الصغير، ثم اتّجهت راكضة إلى ساحة البيت.

كانت السيارة تقف في وسط الساحة والأب قربها يقف حافيًا. داخل السيّارة تجلس الابنة الكبيرة، على الشرفة تقف الأمّ والأخوات، وعلى الساحة أمّ العائلة العاملة والبنات.

حاولت الفتاة دخول السيارة لكنّ الأب أبعدها، فرمت بالحذاء بعيدًا وقفزت إلى القسم الخلفيّ المكشوف من السيّارة. بعد أن وضع الأب الحذاء، صعد إلى هناك وأنزلها، فصارت الأمّ تصرخ باتّجاهه وأمّ العائلة العاملة باتّجاه الابنة الكبيرة، والأخوات واقفات صامتات والبنات الثانيات واقفات صامتات. وما يكاد يدخل السيّارة حتّى تسرع الفتاة إلى القفز إلى القسم الخلفيّ فيها، فيعود ويخرج وينزلها فيدخل وتصعد وهكذا إلى أن أمسكت بها الأمّ وحملتها، ثمّ بصقت في وجهه.

بعدها، تحرّكت السيّارة داخلها الأب والابنة الكبيرة غائبين عن الساحة، فالأمّ التي دخلت إلى البيت ووراءها الأخوات، ثمّ أمّ العائلة العاملة وبقية بناتها إلى البيت الصغير.

وخرج صراخ عظيم.

عبر الباب في وسط البيت الصغير، كان شخص يقف في الهواء.

بعد أن اعتادت الفتاة الصغيرة قليلاً على العتمة رأت أب العائلة العاملة معلّقًا في حبل معلّق في السقف، يهتزّ بنعومة النسيم العابر فوقه، فيحرّكه يمينًا ويسارًا، إلى الخلف وإلى الأمام.

ـ ٨ ـ

موكب النساء يمشي مسرعًا متّفقًا مع إيقاع الأغاني التي رمت بها ألسنتهنّ.

حركة الألسن والشفاه وأيدي رئيسة الموكب التي تضرب الطبلة وأيدي بقيّة الموكب التي تضرب بعضها البعض، أخذت الفتاة.

لا أحد يعرف كم من الوقت ستدوم لحظة الفراق، لكنّ كلّ حركة مرصودة ومحسوبة إن حدثت.

كلّ أخت، حسب الترتيب العائليّ، تمرّ وتعانق العروس التي جلست على كنبة زوجيّة لوحدها، وعيناها تعانقان الحائط الأبيض الواقف خلف الأخوات.

ثمّ خرجن إلى الساحة.

تمسك الفتاة بطرف الثوب الأبيض، وتدفع بقدمها اليمنى وبرأسها عبر باب السيّارة المفتوح لأخذها، واليد اليسرى تمسك بأزهار العرس وبشعر العرس.

لغة

- ١ -

مهما كانت الساحة شديدة السواد، تبقى منطقة الظلّ أشدّ سواداً.

منذ وقت تقف الفتاة الصغيرة في ذات المكان تراقب ظلّها واقترابه منها. ساحة البيت مثل ساحة المدرسة، لكنّ الظلّ مختلف. على ساحة المدرسة يوجد أولاد يلعبون ويقفزون، فيختلط ظلّ كلّ واحد مع كلّ ثان حتّى كلّ كثير. كثير من الأولاد، من الأمام ومن الخلف وعلى الجوانب، يملأون كلّ الاتّجاهات ويشدّون بعضهم وتسقط أزرار أقمصتهم، وكلماتهم تختلط ببعضها، وهم يتحدّثون مختلفاً عمّن في البيت.

في أوّل حصّة عربي في الحياة طلبت المعلّمة أن يعملوا إملاء الدرس الأوّل في البيت.

في البيت كلّ واحد مشغول بالحديث مع آخر. انتظرت الفتاة حتّى ينهوا حديثهم كي تسأل عن معنى كلمة إملاء، وقبل أن يفرغوا من الحديث فرغت الشمس من السماء ونامت. وقبل بدء ثاني حصّة عربي، نسخ الأولاد الدرس الأول من الكتاب على الدفتر.

تفحص المعلّمة الدفاتر منتقلة من طاولة إلى أخرى دون أن تغيّر سؤال، «هل عملت الإملاء لوحدك؟»، فيجيبون، «كلاّ. أخي نقّلني الدرس».

وصلت المعلمة إلى الفتاة. في البيت كان كلّ واحد مشغول بالحديث مع آخر أو آخرين، وقبل أن يفرغوا نعست. أجابت،

ـ نعم.

كان على دفترها إشارة غلط وعلى كلّ دفاتر الصفّ إشارة صحّ.

اقترب الظلّ قليلاً.

من فوق ساحة البيت صرخت الفتاة الصغيرة،

ـ يلعن اللّه.

كما يقول الأولاد من فوق ساحة المدرسة.

ـ ٢ ـ

تنظر الأمّ إلى ملابس الفتاة الصغيرة وتقول لها أن تأخذ المعطف.

لون المعطف أسود، خارجه مصنوع من الجلد وداخله من الفرو، وكلّ معاطف الأولاد في المدرسة خارجها مصنوع من القماش وداخلها من القطن، فكانت تبدو بينهم مع معطفها، كغنمة سوداء معكوسة.

تردّ الفتاة على الأمّ،

ـ لا تمطر.

في منتصف الطريق الموحل إلى المدرسة يتبدّل لون العالم ويبدأ المطر، وهكذا إلى ما لا نهاية.

مع الوقت والتكرار، صارت الأمّ تبعث المعطف مع الجار.

قبل بدء الحصّة الأولى بكثير يتجمّع الأولاد في الصفّ لأنّها تمطر ولأنّه برد.

تنظر الفتاة إلى سيلان المياه على زجاج النافذة، ثمّ تقترب منه فتتنفّس لتكتب بسرعة الكلمات التي تعلّمتها، مراقبة إيّاها حتّى تزول، وفي كلّ لحظة قد يُفتَح الباب ليبدو في مستطيله الجار حاملاً المعطف الأسود. عندها يدخل وكلّ الأنظار تلاحقه بصمت، يضع المعطف على الطاولة، ثمّ يخرج ومعه الصمت، ليعود الحديث غير المفهوم إلى الغرفة.

كان الأولاد في طريق العودة من المدرسة يصفِّرون خلفها ويقولون إنّ الجار يحبّها.

المرآة الصغيرة في وسط السيّارة لم تبيِّنْ نقاط المطر التي بدأت بالنزول على ساحة البيت، لكنّها بيَّنت اختفاء الأخوات اللاتي لعبن فوقها قبل قليل. ثم بدأت المياه تسيل على زجاج نافذة السيّارة في خطوط واضحة، واشتدّ المطر، حتّى صار يغلّف الزجاج، ومن خلفه كان العالم يبدّل ميلانه مع كلّ نقطة مطر، إلى أن توقّف.

فتحت الفتاة الصغيرة باب السيّارة وبدأت تمشي فوق الساحة ثمّ فوق الوحل حتّى الشجرة قرب بيت الجار، وأخذت تنتظره.

في البداية، بدا مائلاً من خلف زجاج الشرفة، لكنّ الميلان اختفى بعدما أقفل باب البيت خلفه، ثمّ أقفلا باب السيّارة خلفهما، وسمّيا لعبتهما «بحلا» عاكسين كلمة «الحبّ» لتكون سرًّا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ـ ٣ ـ

كلّ ليلة تذهب الفتاة الصغيرة للنوم بأمر من النعاس، وهذه الليلة تدخل لتنام بأمر من الأمّ.

من حين إلى آخر تسمع أجزاء كلمات، «وانات»، «رة»، «اللّه»، «يال»، «موطة»، «راتيلا» عبر الباب الفاصل بين غرفتها وغرفة الجلوس حيث اجتمعت العائلة. «راتيلا» صعبة. ثمّ سُمِعت تكّة إشعال جهاز التلفزيون والصوت كان يكاد لا يأتي إلى خلف الباب، لكنّ «راتيلا» تصير «أبراوتيلا». بعد تكرار أكثر «صبرا وشتيلا».

الصبر دائمًا موجود في الأماكن الموجود فيها ولم ينقص ولم يزدد، فلا تعرف إن كان يوجد للصبر شتل، ونامت حتّى جاء صوت تحريك العسل في الحليب ليوقظها، فذهبت إليه إلى غرفة الأمّ والأب.

الأمّ والأب يتحدّثان معًا منذ بدء زوال الليل وحتّى تصير الشمس على البساط بين سريريهما.

إنّها لا تفهم حديثهما عادة، فتسهو عنه وتبقى تنظر إلى الصورة الكبيرة المعلّقة فوق سرير الأمّ. في الصورة يوجد امرأة تلبس ثوبًا أخضر غامقًا لا يغطّي كتفيها، تقطف عنبًا أخضر فاتح اللون من دالية متوسّطة الخضرة.

عندما تدخل الشمس إلى الغرفة، يشغّل الأب الراديو قرب سريره قرب سرير الأمّ، لكن اليوم أخرِجت الفتاة من الغرفة إلى المدرسة قبل كلّ ذلك. وفي المدرسة تحدّث الطلاّب بصوت خافت سمح لصوت العصافير أن يُسمَع.

وقفت الفتاة عند نهاية ساحة المدرسة تنظر إلى أسفل حيث كان نبات الصبر جزءاً من الصبرا، بقدر مساحة جسم حمار اختفى وراء حمار وقف أمامها. بقيت واقفة تنتظر ذهابه لكي تحفظ الجزء الناقص من النبتة. العينان المعلّقتان بالحمار لم تستطيعا منع الأذنين من سماع حديث كان قريبا. «يا ربّي». «صبرا وشتيلا». «الصور في الأخبار». «يا حرارررررننن نبه الجرس إلى نهاية استراحة الصباح».

في منتصف الحصّة علت «يييييي» من فم بعض الطلاّب، فالتفت الجميع إليها، وتقدّمت المعلّمة عندها إلى الطاولة إلى اليدين عليها وهما تحملان مسطرة كُتِب على طولها «فلسطين».

خيّرت المعلّمة الطالب بين أن يمحو الكلمة بسرعة أو يرمي المسطرة في سلّة النفايات في الزاوية، فرفع بكتفيه والمسطرة لا تزال بين يديه، مثل المرأة مكشوفة الكتفين الممسكة بقطف العنب إلى الأبد في الصورة فوق سرير الأمّ. وعندما سحبته المعلّمة من كتفه صار قميصه مثل ثوب المرأة الذي تعلّق بأغصان الدالية، ثمّ وقع الكرسيّ الذي كان يجلس عليه، على الأرض.

في طريق المعلّمة إلى الباب فخارجه، لاتزال جارّة الطالب وراءها من قميصه، طلبت من الفتاة أن تحلّ مكانها حتّى تعود.

تقدّمت من طاولة المعلّمة ثمّ سحبت الكرسيّ وجلست. نظرت إلى أولاد الصفّ فبدوا مختلفين عن عندما تجلس بينهم، لكنّ عدم الفهم لما يحدث أبقى قليلاً من التشابه بينهم. أدارت الكرسيّ وصارت عيناها على لوح الصفّ الأخضر الفارغ. لون ثوب المرأة في الصورة مثل لون الصبر. تحاول الفتاة فهم معنى كلمتي صبرا وشتيلا. ممكن أنّها كلمة واحدة. كلمة فلسطين غير واضح منها غير منع استعمالها. لون اللوح الأخضر يشبه لون الصبر.

أمسكت بالطبشورة البيضاء كقطف عنب عصرته على اللوح. «أنا حمار».

رأى طلاّب الصفّ الفتاة الصغيرة تمسك بالطبشورة، وعندما قرأوا ما كتبت، سبّوها وقرّروا أن يقاطعوها إلى الأبد.

ـ ٤ ـ

صحت الفتاة الصغيرة على صوت احتراق البصل في الزيت في أذنيها ورائحته في أنفها. أبعدت الغطاء واتّجهت إلى غرفة الأمّ والأب. السريران مرتّبان.

في الخارج كان الأخوة يستلقون على الشرفة. سألتهم عن الأب، فقالوا إنّه ذهب. عادت تسأل،

– إلى أين؟

أجاب الأخ إلى طلوزية ولكنّه قال لهم أن يقولوا لها، أن تلحقه حال أن تصحو.

الفتاة تراقب أسنان وألسنة الأخوات الضاحكة وفم الأخ، الذي عاد يفتحه سائلاً إن كانت تريد الذهاب معه.

سألت،

- إلى أين؟

ردّه الدائم هو، «إلى خرية أمّ حسين. أنا أقول كاكا وأنت تقولين زين زين».

علت إلى حافة الشرفة وأخذت تنظر إلى الشارع باحثة عن سيّارة الأب بين بقيّة السيّارات.

تحاول عدّ بُعد طلوزية البعيدة جدًّا. ثلاثون سيّارة حتّى وصول الأب إليها، وثلاثون سيّارة للعودة منها، ويبقى فيها عشرون سيّارة. إن لم يأت ستعدّ عشرين سيّارة أخرى.

الإطار الحديديّ للشرفة دافئ، فتلصق جسمها به قدر الإمكان، مستمرّة بمراقبة السيّارات.

حتّى الآن خمس وعشرون سيّارة.

دفء الإطار الحديديّ صار حرًّا، ولا يوجد في السماء إلاّ ثلاث غيمات.

التفتت خلفها إلى الشرفة. الأخ ممدّد على الأرض عيناه مغلقتان ويداه تحت رأسه، ورؤوس الأخوات قريبة من بعضها، يتحدّثن بصوت خافت، عدا رأس الأخت الثانية الذي كان وراء كتاب مفتوح.

الشرفة أخذتها عن الشارع، وحلّ عدّ البلاطات تحت كلّ جسم فوق الشرفة مكان عدّ السيارات فوق الشارع. أكبر عدد هو بلاطات الأخ.

عادت إلى الشارع الفارغ والهدوء الفارغ، الذي يأتيه من وقت بعيد إلى وقت بعيد صوت قلب صفحة، ثمّ عاد صوت الأخ يملأه لوقت أطول قائلاً لا لأحد، إنّه سمع الأب يقول إنّه سيحضر للفتاة درّاجة هوائيّة، وأضاف إنّه حالما يصل الأب مع الدرّاجة الهوائيّة الصغيرة سيجلس عليها فستنكسر لأنّه كبير وهي صغيرة.

وعادت القهقهات.

نزلت عن الحافة واتّجهت إلى الباب، وقبل أن تغلقه خلفها، أقسم الأخ أنّه رأى من قبل حمامة تبول على رأسها.

من على السرير تحدّثت الفتاة الصغيرة مع الله، راجية إيّاه بكلّ قوّة أن يرضى،

ـ يا ربّ موّت أخي.

وفي اليوم التالي مات الأخ.

ـ ٥ ـ

بعد الجنازة انتقلت الأمّ من غرفة نوم الأمّ والأب إلى غرفة نوم الأخوات ولم تخرج كثيراً منها، والأخوات كذلك لم يخرجن كثيراً منها، فبدا البيت كأن لا أحد يسكنه.

في الأيّام الثلاثة الأولى دخلت الفتاة الصغيرة إلى غرفة الأخوات متى شاءت، حيث تبقى قليلاً تنظر إلى وجه الأمّ أو صلاتها.

الحزن والصلاة عند الأمّ اختلطا ببعضهما، فتبكي عندما تصلّي وحين تبكي تنزلق كلمات الصلاة متقطّعة، كأنّما الدموع تمحو بعض أحرفها وكلماتها، مثلما عندما ابتلّ دفتر الإملاء في المطر.

وكلّ صلاة انتهت بالدعاء إلى الله أن يسامح الأخ إن صدر منه سوء وأن يدخله رحاب جنّاته، فتقول الأخوات «تقبّللا».

الفتاة لا تفهم معنى هذه الكلمة ولكنّها تقولها، ودائمًا الأخيرة، لأنّ الأخوات قد سبقنها. أوّل واحدة الأخت الثامنة، فيكون ردّ الأمّ «من الله ومنك» دافئًا بطيئًا، يقلّ دفئه وتزداد سرعته في كلّ مرّة قادمة حتّى يصل إلى الفتاة.

كان أيضًا صوت الباب عاليًا عند فتحه، إذ يتصارع مع أرضيّة الغرفة التي تجرّحت بخطوط نصف دائريّة بسببه، وعند إغلاقه لا يغلق وفي المرّة الثانية قد لا ينغلق. معها لا ينغلق حتّى المرّة الخامسة فتضربه فينغلق بصحبة ضجيج وتأفّفات عائليّة.

ذات يوم تذمّرت الأمّ.

صارت الفتاة تنتظر عند الباب حتّى تفتحه أخت ما فتدخل أو تخرج، وهكذا لم تعد تمسّ الباب بسوء. أحيانا كانت تبقى من الصباح وحتّى الظهر تنتظر، فتسمع الأحاديث القليلة التي تقال، «خلص بكاء يا أمي». «١٥٣». «ششش. أمّي نامت». «هل عاد والدكنّ؟». «كلاّ». «أين أختكنّ الصغيرة؟».

فتردّ من خلف الباب:

ـ أنا هنا.

لم تعد توجّه الأمّ حديثها إلى فرد معيّن أو تذكر اسم أحد. صارت تتحدّث مثل معلّمة العربي عندما أعطت أمثلة عن

الضمائر. الأخوات في الغرفة ـ أنتنّ. الفتاة الصغيرة ـ هي، حتّى وإن كانت في الغرفة، والأب بعد موت الأخ صار هو الوحيد– هو.

«هل أكلت شيء؟». «نعم». صرخت الفتاة،

ـ كلاّ.

«أطْعِـــمْنَهـــا». ثمّ «أنت، لا أنت، أي... روح.. انتنتروحينت».

فُتِح الباب فحاولت أن تدخل، لكنّ الأخت الثامنة دفعتها بقوّة ووقعت على الأرض وإلى أن نهضت كان الباب قد أُغلق مرّة أخرى. الرغبة في الدخول إلى غرفة الأخوات استمرّت في الجوّ خلال وضع الطعام في الصحن فمضغه فبلعه ثمّ تنظيف الصحن، وبينما كانت الأخت الثامنة تنظّفه، كانت الفتاة قرب الباب تلتصق به.

جاءت الأخت الثامنة ووقفت قربه أيضًا، ثمّ اتكأت عليه وهزّت رأسها إلى الجانبين ناظرة إلى الفتاة، وصار الوقت يمرّ بين العيون والهواء فيها فتأتي رمشة في وقت غير معروف.

فجأة دفعتها الأخت الثامنة إلى الأرض فوقعت على مرفقها دون أن تصرخ حتّى لا تتذمّر الأمّ، ومن على الأرض

كانت تراها تفتح الباب، فاستجمعت الفتاة قواها وقفزت إلى الفتحة المتبقّية بين الباب وانغلاقه فوقعت عليها على أرضيّة الغرفة. الأعين والآذان عديدة في الغرفة وكلّها تسمع صراخ الأخت الثامنة، «وضعت لها أكل ثمّ لحقتني وضربتني».

حاولت أن تقول شيئًا ما، لكنّ الكلمات اختفت والأحرف لم تعد مرتّبة كالسابق. كانت يدها، فدفعت بها بدل الكلمات إلى شعر الأخت الثامنة، وإذا بيد الأمّ على شعرها جارّةً إيّاها إلى خارج الغرفة.

«إلى الخارج. تريد أن تقتلني. ليتني أموت».

جلست الفتاة الصغيرة أمام باب الغرفة وفي حلقها اختفاء اللغة يختلط مع اختفاء إمكانية الانضمام إلى الضمير «أنتنّ».

ـ ٦ ـ

الخطوط التي كانت مرّة دون معنى، تحوّلت إلى كلمات تصنع عوالم. وراء الزجاج النظيف كانت تقف تلك العوالم.

بدأت الفتاة الصغيرة من البداية، أوّل كتاب في الرفّ الأول،

ـ أل. ألكس. سان. در. ديماس.

الفرسان الثلاثة ـ ١. نفس الاسم السابق. ٢ ـ ثمّ. ٣ ـ الكتب عريضة، فانتقلت إلى الرابع،

ـ دس. دستو. يفس. سكي. يفسكي.

الجريمة والعقاب. عرضه أقلّ.

وضعت يدها على الزجاج لتسحبه، فسحبها. عندما رفعت يدها لتحاول بقوّة أشدّ، ظهرت آثار اليد على الزجاج النظيف،

فأسرعت تبعث بأنفاسها الحارّة إليه وتمسح الآثار بقميصها. عاد الزجاج نظيفًا، وكي يبقى، كانت اليد مغطّاة بالقميص حينما عادت تسحبه، ونجحت. كان صوته كحجر كهف.

جلست ووضعت وجهها وراء الكتاب، وأخذت تنتظر سماع صوت قلب الصفحة الأولى حاكًّا هواء الغرفة بعد صمت ما.

أوّل كلمة كانت سريعة وهي اسم الأب. بعدها بدأ الوقت يمرّ ببطء فوق الصفحة، فيزداد بُعد الكلمات عن بعضها وعدم ترابطها، ولا تزال تحاول قراءة الكتاب حتّى نهايته البعيدة.

تقرأ كلمة بالفصحى، وتعيدها برنين العامّيّة. أغلب الكلمات الفصحى قريبة من العامّيّة، لكن توجد ثلاث أو أربع في كلّ سطر غير مفهومة، كانت تلتقي بها لأوّل مرّة.

في البداية بحثت في الأشياء حولها عن معنى لها، أو عن شيء بدون اسم قد يلائمها، لكنّ العامّيّة كانت على كلّ الأشياء. وازدادت الكلمات التي لا معنى لها حتى صارت تملأ كلّ الصفحة، ولم يعد بمقدورها أن تتجاهلها أكثر.

صارت الفتاة الصغيرة تتخيّل وبسرعة تلصق بما تخيّلت الكلمة الجديدة قبل أن تسبقها العامّيّة إلى هناك.

ـ ٧ ـ

كانت الكتب أيّامًا تمرّ معها الفتاة يداً بيد إلى الرفّ الثالث.

تستلقي فوق سريرها، تغطّي جسمها بشرشف خفيف أو ثقيل ووجهها بقصّة قصيرة أو طويلة.

الكلمات المكتوبة كانت ترافق عينيها إلى كلّ شيء. أيّ كتاب كان، كان يقف بين عينيها وكلّ العيون الأخرى في البيت، فيحجب عالمه المتبدّل على الدوام، والذي حين كان يبدو من حين إلى آخر، كان يبدو كعالم تُقْرأ كلماته بدل أن تُسْمع، فلا تقول هي شيئًا.

عن الأخوات كانت تقرأ في ورقة أو دفتر خُبِّئا جيّداً تحت فرشة أو تحت جارور أو خلف صورة حائط. وعالم الأب جاء من

صندوق أخضر صغير مليء بالأوراق، كان بين صناديق أدوات تصليح السيّارة. الأحداث المشتركة والأحاسيس المتشابهة، تجمّعت معًا في كلّ دفتر من الدفاتر والأوراق، محوّلة عالم البيت الواحد إلى عدّة مختلفة ومتناقضة تتجوّل فوقها عينا الفتاة. قرأت كلّ الأوراق وعادت تقرأها لمرّات عديدة. كانت قريبة من عالم كلّ واحد دون أن يراها أحد، عدا الأمّ التي لم تكتب. كان الاقتراب من عالمها غير المكتوب غير ممكن.

ولم تعرف الأمّ القراءة لتشارك الفتاة عالمها المكوّن من عوالم عديدة، جلست في مؤلّفات على الرفّ الأوّل والرفّ الثاني، حتّى منتصف الرفّ الثالث.

كان كلّ كتاب إضافيّ وكلّ يوم إضافيّ يزيد من البعد بينهما، ولا تزال الأمّ تنتظر أن تزيح الفتاة الكتب من بينهما، والفتاة لا تزال تنتظر قراءة الأمّ لتلك الكتب، فبقي اللقاء الوحيد بين لغتيهما عند شجار يعجّل الفراق.

ـ ٨ ـ

الأمّ تقول «الأب يخون الأمّ». الأب يقول «الأب لا يخون الأمّ».

تقف الفتاة دون أن تختار، فعنى ذلك لبقيّة العالم، الذي اختار الخيار الأوّل، أنّها مع الخيار الثاني.

في السابق كانت تمرّ أيّام عديدة دون أن تسمع الفتاة كلمة قالتها، فقط ترى الكلمات المرصوفة في الأسطر، لكنّ الخيار في قول الكلمات أو قراءتها سُحِبَ من أمامها وبدلاً منه وُضِعَ العقاب بسبب عدم اختيارها، فكان لا بدّ لوجهها أن يختبئ وراء كتاب. وهكذا، بعد تحوّل الخيار إلى عقاب، تحوّل العالم المليء من خلف الكتب إلى عالم وحيد.

ثم ذات ليلة أغلق الزجاج على آخر كتاب في الرفّ الخامس. «تعلّم التركيّة في أسبوع».

أنزلت الفتاة عينيها قليلاً إلى سنّة الرفّ الأوّل. «الكسندر ديماس ـ الفرسان الثلاثة» في ثلاثة أجزاء. على الجزء الثالث استند أوّل كتاب. «الجريمة والعقاب».

تركت خزانة الكتب وراحت تتجوّل قليلاً في عتمة البيت، لكنّ كتاب «الجريمة والعقاب» لم يتركها. كلّ ما يحضر منه هو قتل المرأة والفأس.

جلست قرب الموقد الذي كان دفؤه الوحيد ينبعث من الرماد المتبقّي فيه، وأخذت تستمع إلى أنفاس النائمين. النائمات. في بعض الليالي تتحدّث الأخت الثامنة في نومها، ورغم أنّ حديثها غير مفهوم، كانت تستمع إليه جيّداً.

تعلّقت الآن بأنفاس الأمّ التي لم تتوقّف أبداً.

بين نوم البيت ونوم الفتاة كان الليل فقط. الصحو الوحيد فيه هو للنجوم وأضواء الشارع وبعض الشرفات الفارغة. بين نقاط الضوء هذه، كانت تمدّ خطوطًا لتقرأها، وفوق تلك الكلمات أو تحتها تأتي فتحة أو كسرة، متخفّية في صورة شهاب. وبسرعة وخفّة شهاب صارت لصّة دفاتر الأخوات الخاصّة، تقرأها وتكتب فوقها كلّ ليلة لكلّ أخت كلمات النجوم، دون أن يكون لذلك تأثير على عقاب الصمت اليوميّ، الأبديّ.

المرّة الوحيدة التي رُفع فيها عقاب الصمت كانت عندما مرضت الأمّ، فأخذها الأب إلى المستشفى وبقيت هي مع الأخوات في غرفة الجلوس. كان وقت طويل حتّى حدث تبادل الكلمات الأولى، وبالرغم من قوّة الصمت. سألت،

ـ هل تعتقدن أنّ أمّي ستموت؟

فردّت الأخت الأولى بصفعة على وجهها.

كانت آثار يدها على وجه الفتاة دافئة حمراء مثل الشمع الذي يختتم الرسائل. دفؤها على وجهها عادل دفء الرماد في الموقد حينما جلست تداعبه ويد ما تداعب باب غرفة الأخوات المضروب لينغلق وراءهنّ. وفجأة جاء صوت قريب من خلفها.

قالت الأخت الثامنة إنّها تقرأ ما تكتب الفتاة في دفترها. كلّهنّ قرأن ما كتبت، ولا يعني الصمت عدم الحبّ، لكنّ خيانة الأب هي عدم الحبّ.

ردّت الفتاة،

– لا.

لا اختيار بين جملة الأب وبين جملة الأمّ، ولا كتابة أكثر فوق دفاتر الأخوات.

الحائط

تجلس العروس على الكنبة وحيدة، تعانق الحائط بعينيها.

يمرّ الوقت وتمرّ الأخوات ليقتربن أكثر فأكثر إلى النهاية، ويشتدّ عناقها للحائط.

الجميع ينظر إليها وهي تنظر إليه.

إلى الحائط.

هو يملأ كلّ الرؤيا. بين نقاطه البارزة كانت تمدّ خطوطًا في كلّ اتّجاه، وكلّما اقتربت نهاية الأخوات، شدّت أصابع يدها حول باقة الأزهار. بين نقاطه تمدّ خطوطاً بعينيها. لا تستطيع الابتعاد عنه.

لا يستطيعون الانتظار أكثر. يجب أن يتحرّك موكب السيّارات.

تبتعد السيّارة وداخلها الفتاة عروسًا.

عيناها تعلّقتا بالمرآة الصغيرة في وسط السيّارة، تراقبان ابتعاد البيت.

١٩٩٨–١٩٩٩

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفهرس

من وثيقة برنامج الثقافة والعلوم (٢٠٠١) ٥
بيان لجنة تحكيم مسابقة الكاتب الشابّ للعام ٢٠٠١،
برنامج الثقافة والعلوم في مؤسّسة عبد المحسن القطّان ٧
ألوان ٩
١ ..... ١١
٢ ..... ١٣
٣ ..... ١٦
٤ ..... ١٩
٥ ٢١
٦ ..... ٢٤
٧ ..... ٢٦
٨ ..... ٢٧
صمت ٢٩
١ ..... ٣١
٢ ..... ٣٤
٣ ..... ٣٦
٤ ..... ٣٩
٥ ..... ٤١
٦ ..... ٤٤

٧ ..... ٤٧
٨ ..... ٥٠
حركة..... ٥٣
١ ..... ٥٥
٢ ..... ٥٨
٣ ٦٠
٤ ..... ٦٤
٥ ..... ٦٧
٦ ..... ٦٩
٧ ..... ٧١
٨ ..... ٧٥
لغة..... ٧٧
١ ..... ٧٩
٢ ..... ٨١
٣ ..... ٨٤
٤ ..... ٨٧
٥ ٩٠
٦ ..... ٩٤
٧ ..... ٩٦
٨ ..... ٩٨
الحائط..... ١٠١

مُنحت جائزة الرواية، في المسابقة التي تنظمها مؤسسة عبد المحسن القطان ضمن برنامجها للثقافة والعلوم للعام ٢٠٠١، إلى عدنية شبلي عن روايتها مساس وذلك للأسباب التالية:

ـ بناء معمار روائيّ متصاعد في الشكل كما في المحتوى، والتجديد في الموضوع والأسلوب، وقدرتها على صوغ عوالم جديدة وغريبة وأليفة في الآن نفسه.

ـ رسم شخصيّات روائيّة إنسانيّة القسمات.

ـ تطوير حبكات مركزيّة وثانويّة لا تبيح تحليل الشخصيات في المستويات النفسيّة الداخليّة فحسب، بل أيضًا في مستوى الشبكات الاجتماعيّة الخارجيّة.

ـ اختيار شكل معقد وذكيّ يعتمد تقسيم العمل إلى فصول أساسيّة، تنقسم بدورها إلى مشاهد وشذرات تنفصل وتندمج وفق تراصف ذكيّ مفتوح.

ـ اعتماد لغة رشيقة، سريعة الإيقاع، قصيرة الجمل، ذات مراوغة عالية في تصوير الموقف وتنويع الشحنة الوجدانيّة.

من تقرير لجنة التحكيم

دار الآداب للنشر والتوزيع
ساقية الجنزير ـ بناية بيهم
ص.ب. 11-4123
بيروت ـ لبنان
هاتف: 861632 (03) - 861633 (01)
فاكس: ٠٠٩٦١١٨٦١٦٣٣
e-mail: d_aladab@cyberia.net.lb

مؤسسة عبد المحسن القطّان A.M.Qattan Foundation
5 Princes Gate
London SW7 1QJ - UK
Tel: + 44 207 581 8774
Fax: + 44 207 581 0741
e-mail: omar@uk.qattanfoundation.org
http://www.qattanfoundation.org

مكتبة
t.me/soramnqraa